حكايات من المشارق إلى المغارب







دار المجاني



أجملُ حِكاياتِ روسيا



دار المجاني

التوزيع:

المكتبة الشرقية ش.م.ل
صندوق بريد ٥٥٢٠٦ بيروت - لبنان
الجسر الواطي - سن الفيل
تلفون: ٤٨٥٧٩٣ (٠١)
فاكس: ٤٨٥٧٩٦ (٠١)
E-mail:libor@cyberia.net.lb

الخادِمُ الحاذِق



كانَ في قديمِ الزّمانِ، كاهنٌ عَجوزٌ يعيشُ معَ عائلةِ أُختِهِ الأرملة. ورُغْمَ كونِهِ رجلاً مُتَدَيِّنًا يتّقي اللّه، إلاّ أنّهُ كان شديدَ البُخل، ولسوءِ الحظِّ كان أحمقَ أيضًا. بَحَثَ لفترةٍ طويلةٍ عن خادمٍ يُساعدُهُ في المنزِل، غيرَ أنَّ الجميعَ كانوا يطلبونَ مبلَغًا معيَّنًا مُقابِلَ ذلك، الأمرُ الذي كان يُزْعِجُهُ للغاية.

خرَجَ ذاتَ يومٍ في الصَّباحِ الباكِرِ إلى السّوق، وبينَما هو يفاوِضُ، كعادَتِهِ أحدَ التجّارِ، دنا مِنْهُ رجلٌ وقالَ لهُ: «أيُّها الكاهنُ، إنّكَ تعرفُ الكثيرَ منَ النّاس... أرجوك، هل تساعِدُني لأجِدَ عَملاً عِنْدَ أَحَدِهِم؟!» اغْتنمَ الكاهنُ الفُرصَةَ وقال: «إنني أَبْحثُ عن خادمٍ أمينٍ بارعٍ، لا يطلُبُ الكثيرَ... فَهَلْ أنْتَ مستعِدٌّ للعملِ في خِدْمَتي؟!».

أجابَهُ الرَّجلُ مندهِشًا: «طبعًا! يمكنُني تدبيرُ شؤونِ المنزِلِ، وأنا قويٌّ جدًّا، والعملُ لا يُضْنيني!».

سألَهُ الكاهنُ قلِقًا: «و... كَمْ تُريدُ مُقابِلَ عملِكَ؟»

أجابَهُ الرَّجُل: «أُنظُرْ أيُّها الكاهنُ الجليلُ! إنني رجلٌ يَعْمَلُ بكُلِّ طيبةِ خاطرٍ، غَيْرَ أنّني مِنْ حينٍ إلى آخر، أرْغبُ بأنْ أُشْبِعَ بَعْضَ رَغَباتي. لذلِكَ إذا خَدَمْتُكَ سنةً كامِلَةً، بدلُ أتعابي هُوَ أنْ أَصْفَعَكَ ثلاثَ صَفَعاتٍ على خدِّكَ!»

إغتاظَ الكاهِنُ مردِّداً: «ثلاثُ صفعاتٍ؟» إنّما شِدّةُ بُخْلِهِ دَفَعَتْهُ إلى القبولِ باقتراحِ ذلك الرَّجلِ الغريبِ الأطوارِ وفكَّرَ: «إنَّ تَلَقّيَ بعضِ الصّفعاتِ أَفْضَلُ بكثيرٍ من دفعِ المالِ!»

كان الخادمُ يُدْعى ديمِتْري. وَقَدْ أَظْهَرَ جدارَتَهُ إذْ كانَ يَكْدَحُ في اللّيلِ كَما في النّهار، ولا يَتَذَمَّرُ مِنَ التّضحية: يَطهو، يُرَتِّب، يُصْلِحُ أيَّ عُطلٍ يطرأُ، يَكنِسُ، يعملُ في البستانِ ويذهبُ إلى السّوق للتّبضُّع... باختصار، إكْتَسَبَ عطفَ سكّانِ المنزِلِ بوقتٍ وجيزٍ: فشقيقَةُ الكاهنِ تُقدِّرُه، وابنتُها تعتبِرُهُ هِبَةً منَ السَّماءِ، حتّى أنَّ ابنَها الصغيرَ كان يُناديهِ... «عمّي!». ما يَدُلُّ على أنَّ ديمِتْري نالَ إعجابَ جميعِ أفرادِ العائلةِ، إلاّ أنّهُ كان مصدَرَ إزْعاجٍ بالنِّسبَةِ إلى الكاهِنِ: فَهُوَ يرى فيهِ التَّعَجْرُفَ والتّباهيَ والادّعاءَ والفُضوليّة... وبكُلِّ بساطةٍ، يعودُ السَّببُ الوحيدُ إلى تلكَ الصَّفعاتِ التي تُقْلِقُهُ... نعم، الصَّفَعاتُ! لقد بَدَأ يندمُ على ذلك الاتّفاقِ، وغَدا يشعرُ بخوفٍ شديدٍ ينمو في داخِلِهِ. فَكانَ يُرَدِّدُ في نفسِهِ: «كَيْفَ وافَقْتُ على هذا الاقْتِراحِ اللّعينِ... فالصَّفْعَةُ قد تَقْتُلُ إنسانًا... آه يا إلهي، كيفَ تَوَرَّطْتُ بهذه الحَماقة؟!»



كانَ يتألَّمُ باستمرارٍ، وكُلّما غضِبَ، بَدا لهُ مرورُ الزّمنِ سريعًا. وكُلّما مرّتِ الأيّامُ، ازدادَ طُغيانُ الكاهنِ على الخادمِ المسكينِ، في شتّى الوسائلِ، جاعِلاً إيّاهُ يعملُ من الفجرِ إلى الغَسَقِ دون توقُّف. لكنّ ديمِتْري لمْ يتذمّرْ إطلاقًا، ولَمْ يَضْطَرِبْ بتاتًا، وكانَ يُطيعُ سيِّدَهُ بكلِّ سُرور. عَمِلَ ديمِتْري طَوالَ السّنة، ما أدّى إلى تبدُّلِ ملامحِ الكاهنِ وغدا قاتِمَ الوجهِ، لا يَأْكُلُ ولا ينامُ... إنَّه يبحثُ عَنْ مَخْرَجٍ! هناكَ يومانِ فقط قبلَ بلوغِ اليومِ المنتظَر. فَقَرَّرَ الكاهنُ أنْ يرويَ القِصَّةَ على شقيقَتِهِ. فالنِّساءُ بنظرِهِ ذكيّاتٌ ويعرِفْنَ دائمًا كيفَ يخرُجْنَ من المأزِقِ! علَّ أُختَهُ تجِدُ حلاً لهذه المُشْكِلة.

أجابَتْهُ شقيقَتُهُ بَعْدَ أنْ أصغَتْ إلى قِصّتِهِ قائلة: «هناك طريقةٌ وحيدةٌ، مُرْ ديمِتْري بالقيامِ بشيءٍ مستحيلٍ... بفعلِ أيِّ شيءٍ، وضَعْهُ إزاءَ صعوباتٍ، واجعلْهُ يقْتَرِفُ أخطاءَ... فعلى هذا النحوِ يكونُ لديكَ الحُجَّةُ لطردِهِ وبالتّالي يَسْقُطُ الاتّفاقُ!»

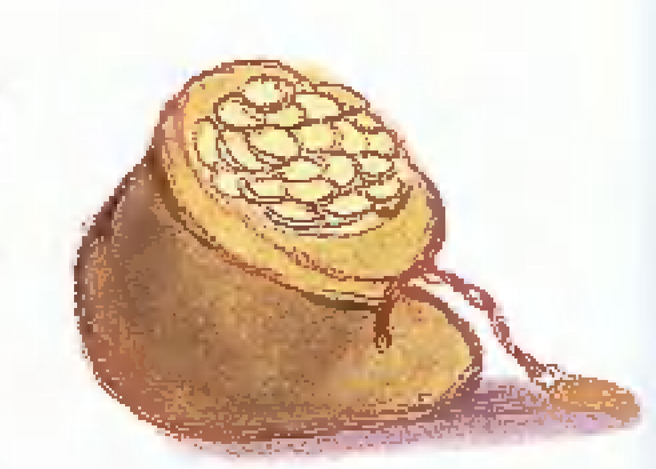
شكرَ الكاهنُ شقيقَتَهُ على النّصيحة: «إنّكِ حقًّا فَطِنةٌ!» ثمَّ راحَ يفكِّرُ طَوالَ النّهار، وعندَ المساءِ نادى الخادمَ.

إستهلَّ حديثَهُ قائلاً: «ديمِتري! يجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أنَّ... أنني على اتّفاقٍ... نعم على اتّفاقٍ دائمٍ معَ بعضِ العفاريتِ الذينَ يعيشونَ في قعرِ البَحْرِ...». لَمْ يَكُنِ الكاهنُ المسكينُ معتادًا على سَرْدِ الأكاذيب، وإنَّما فعلَ ذلك بجُهْدٍ جهيدٍ ثمَّ تابع قائلاً: «يتوجَّبُ علَيْهم كلَّ سنةٍ أن يدفعوا لي... جِزْيةً، نقودًا من ذهب... وقد مضى زمنٌ ولم أجْنِ مِنْهم شيئًا. لذلك يَجِبُ عليك... نعم يجبُ... باختصار، أنْ تذهبَ إليهِمْ وتجلبَ لي مِنْهُم النّقودَ المتوجِّبَةَ عليهم!» ولم يتابعِ الكلامَ خوفًا من أن يكونَ قد بالغَ بالأمرِ وان لا يصدِّقَ ديمِتْري هذه المسألة. إلاّ أنَّ هذا الأخيرَ لم يتأثَّرْ بما رَواهُ الكاهنُ، إذ لم تبدُ عليهِ أيّةُ علامةِ تعجُّبٍ أو شكٍّ أو قلقٍ، إنّما أخذَ سَوْطًا وتوجّهَ إلى البحر.

وحينَ وصلَ إلى الشّاطئِ، بدأ يضربُ الأمواجَ بسوطِهِ ضَرَباتٍ عنيفةً وعنيفةً جدًّا... إلى أنْ ظهرَ بَيْنَ نِقاطِ المياهِ، التي كانتْ تَتطايرُ من جرّاءِ ضَرَباتِهِ، رأسُ عِفريتٍ ضخمٍ أحمرِ اللّونِ، وقد بدا غاضبًا ومنزعِجًا، فَرَعَدَ بصوتِهِ قائِلاً: «ما هذه الضّجّة، من يجرؤُ على تَعْكيرِ صَفْوِ سُكونِ داري؟»

أجابَ ديمِتْري دونَ أنْ يرتعِبَ إطلاقًا مِن ذلكَ الظّهورِ المفاجئِ: «أَرْسَلَني سَيِّدي، كاهنُ البلدةِ المجاورةِ ويُريدُ





أن تَدْفَعَ لهُ الضَريبةَ المُتَوجِّبَةَ عليكَ وعلى رفاقِكَ ثم أَرْحَلُ من هنا. لكنْ حَذارِ! إنْ لم تدفعوا لي سأستمرُّ في تحريكِ المياهِ وبالتّالي لن ينعَمَ أحدٌ منكُم بسلامٍ!»

قال له العِفْريت: «هَدِّئ من روعِكَ، وقُلْ لي ما هي قِصّةُ الضَّريبةِ هذه؟ فأنا لستُ على عِلْمٍ بها! وإنّما سأُرْسِلُ لكَ حفيدي، العفريتَ الأزرق. إنه شابٌّ ويفهَمُ بالحساباتِ أفضلَ منّي... رُبَّما هُو على عِلْمٍ بالموضوع...» وغاصَ في لُجَجِ الأمواجِ، ومَضَتْ دقائقُ فَأطَلَّ عِفْريتٌ نحيلٌ برأسِهِ... أزرقُ اللّون! واستهلَّ حديثَهُ بصوتٍ حادٍّ مزعجٍ: «كيفَ، كيفَ، كيفَ ذلك... فعلى ما أعْتَقِدُ نحنُ لسنا مدينينَ لأحدٍ، هل سمعتَ يا رَجُل؟»

صَرَخَ ديمِتْري حانقًا: «كيف تجرؤُ على نفْيِ الحَقيقة؟ لا تُراوِغْ أيُّها العِفْريتُ الحقير! إدفَعْ لي فورًا هذه النّقودَ وإلاّ حَجَبْتُ عنكُمُ الهُدوءَ طَوالَ حياتِكُم!»

قال هذا ثمّ رفعَ السَّوْطَ عاليًا في الهواءِ ليباشِرَ بالصَّخَبِ... الجَهَنّمي!

«توقَّفْ، أرجوكَ»! قاطَعَهُ العِفْريتُ الأزرقُ: «أنا موافقٌ، شرطَ أن نضعَ النَّقودَ التي تَدَّعي أنَّها متوجِّبةٌ علينا في كيس، ونتسابقَ فنعدوَ حولَ البحيرةِ، ويكونُ الكيسُ من نصيبِ الأسرع».

«لا شكَّ أنّك تمزحُ!» قال ديمِتْري، وهو لا تنقصُهُ الحَذاقةُ، ثم أضافَ: «أتعرفُ من أنا؟ فالجميعُ يعرفونني: إنّني أقوى من الأسدِ وأسرعُ من السَّهمِ! لستَ جديرًا بالتّسابُقِ معي... فأنتَ صغيرٌ وضعيفٌ! وإذا قبلتُ بالشَّرطِ أفقِدُ تقديرَ النّاسِ لي! لكنّني... سأطْلُبُ من رفيقي الصَّغيرِ أن يشاركَ في السِّباقِ بدلاً مني! أتوافقُ؟!»

قَبِلَ العِفْريتُ الأزرقُ. أمّا ديمِتْري، الذي تجري في عروقِهِ الحَذاقةُ، أسرَعَ إلى الغابة، وقَبضَ على أرنَبَيْنِ ووضعَهُما في كيسٍ، ثمّ عادَ إلى البحيرةِ، وأخرجَ من الكيسِ أرنبًا واحدًا وأمسكَهُ بأذنيه. ثم رَفَعَ صوتَهُ عارضًا الحيوان: «ها أنا أيُّها العِفْريتُ، وهذا صديقي الصَّغير، إنّه متشوّقٌ إلى المُنافسة!»

أجابَهُ العِفْريتُ بصوتِهِ الحادّ: «حسنًا، حسنًا!» ثم خَرَجَ منَ المياه، وكان حقًّا هزيلَ البُنْيةِ! ثُمَّ قال: «لنستعِدَّ إذًا: واحد، اثنان، ثلاثة، إنطلاق!» وعلى الفورِ حرّرَ ديمِتْري الأرنبَ. فانطلَقَ بسرعةٍ رهيبةٍ. فركَضَ العِفْريت حولَ البحيرةِ، أما الأرنبُ... فركَضَ مباشرةً نحو مسكَنِهِ!

هذه المرّة أيضًا، لَمْ يَضْطَرِبْ ديمِتْري، فبكُلِّ هدوءٍ أخرجَ الأرنبَ الثّاني من الكيس وداعَبَهُ كي يهدَأ. وكان قَدْ مضى بعضُ الوقتِ، فوصلَ العِفْريتُ الأزرقُ مُنْهَكًا إلى نُقطةِ الإنطلاقِ، وكان قد قامَ بدورةٍ كاملةٍ حول البحيرةِ والعَرَقُ يتصبَّبُ من جبينِهِ، وبدا مُتعبًا كثيرًا.



قال له ديمِتْري دون أنْ يُبالي لوضعِ العِفْريت: «آه، لقد وصلتَ أخيرًا! أما صديقي الصَّغيرُ، كما ترى، لقد وَصَلَ منذُ وقتٍ طويل... ما يعني أنَّك خسِرْتَ! أما الآن، هيا، أعطني المال!». لَمْ يُصدِّقِ العِفْريتُ ما جرى، وكيفَ استطاعَ ذلكَ الصَّديقُ الصَّغيرُ التغلُّبَ على اختصاصِه: الرَّكض؟ خائبًا ومُكْتئبًا، غطسَ في مِياهِ البحر، وذهبَ إلى العِفْريتِ الأحمرِ العجوزِ يشكو أَمْرَهُ.

فقال له: «جَدّي، إنّ ذاكَ الرَّجلَ حاذقٌ جدًّا، يعرفُ أشياءَ كثيرةً... إنَّه ماهرٌ في أمورٍ شتّى!...»



أصغى العِفْريتُ العجوزُ إلى روايةِ حفيدِهِ، وفي النِّهايَةِ، خَضَعَ للأمرِ وقال: «يا لَلأسفِ، أَعْطِهِ المالَ ولْيَتْرُكْنا بسلامٍ!»

حصلَ ديمِتْري على مُرادِهِ، وعاد في اليوم التّالي إلى الكاهن، حاملاً على كتِفِهِ كيسَ النّقودِ، ثم قالَ لهُ والبسمةُ تملأُ ثَغرَهُ: «ها هي النُّقودُ التي طَلَبْتَها أيُّها الكاهنُ، فلن تَتَذَمَّر مني أَلَيْسَ كذلك؟»

دَمْدَمَ الكاهنُ: «لا... طبعًا... لا... كيف؟!»

ثم تابع ديمِتْري قائلاً: «أما الآن، فَيَجِبُ أن تدفعَ لي. لقد مضتِ السّنة. وقد خَدَمْتُكَ وحَقَّقْتُ جميعَ مطالِبِكَ... وقد آن الأوانُ أنْ تُحقِّقَ لي بدورِكَ مطلبي، ألا وهو أن أصْفَعَكَ الصَّفعاتِ الثلاثَ المتّفقَ عليها... فأنا لا أطلبُ الكثيرَ، ألا تَظُنُّ ذلك؟!».

بدأَ الكاهنُ يَعْرَقُ من شِدّةِ الخوفِ، ويداهُ ترتجفانِ وكذلك ذراعاه، ورجلاه... أغمَضَ عَيْنَيْهِ وسَلَّمَ خَدَّيْه. إنْدَفَعَ ديمتري بِكَفِّهِ و... قال: «إليكَ الصَّفعةَ الأولى!» فانقطعَ نَفَسُ الكاهنِ وباتَ أزرقَ اللّونِ!... أما الصَّفعةُ الثّانيةُ فأسقطَتْ أسنانَه... والثّالثةُ أفقدَتْهُ توازُنَهُ، فارتَمى أرضًا فاقِدَ الوعي!

عندَ ذلك قَهْقَهَ ديمتري قائلاً: «سيّدي، إنّه لَمِنْ الصّعبِ التَّضحيةُ في سبيل الآخر، ولكنْ لذلك قيمةٌ ولذّةٌ حين يُشْبعُ المرءُ رَغْبَتَهُ في آخِرِ الأَمْر». قال هذا بينما كان الكاهنُ مرتميًا على الأرضِ فاقِدًا كلّ قِواه.



النَّجمُ المضيءُ والشَّيْطان

لَمْ يَكُنِ النجمُ المضيءُ في قديمِ الزّمانِ، ساكنًا في السَّماءِ، بحيثُ نتمتّعُ كُلُّنا اليومَ بالتأمُّلِ بهِ وخاصّةً في اللّيالي الصّافيَة، بل كان يعيشُ... على سطحِ الأرضِ! كان يسكُنُ في قصرٍ شاسعٍ يتألّفُ من مئةِ غُرفةٍ وأكثرَ! وفي كلِّ غُرفةٍ تَنتصِبُ مِدْفأةٌ عِملاقةٌ تَتّقِدُ بنارٍ دائمةِ الاشتعال. فالنّجمُ المضيءُ المسكينُ، في الواقعِ، كثيرُ التّأثُّرِ بالبَرْدِ، فكانَ يعملُ جاهدًا كي لا تَنطفِئَ واحدةٌ مِن مدافِئِهِ الكثيرة. وكانَ يَهْمِسُ مسرورًا: «يا لَروعةِ هذا الدِّفءِ! أينَ سأجِدُ مكانًا أكثرَ حرارةً من هنا؟!»

ذاتَ يومٍ، وبعيدًا عن قصرِ النَّجْمِ، لاحَظَ الشَّيْطانُ أنّ مشاعلَ الجحيمِ بدأَ نورُها يَخِفُّ.

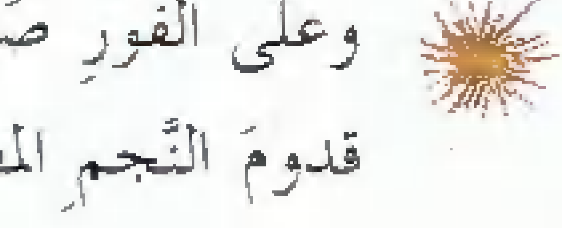
تَعَجَّبَ حانقًا: «لَدَيَّ أَلْفُ جَمْرَةٍ! يجبُ أن أجدَ حلاًّ... فورًا!»

تحوَّلَتْ تلكَ النّارُ التي كانتْ مُتأجِّجةً في الجحيمِ إلى شُعَلٍ متفرِّقةٍ وإلى مساحةٍ فسيحةٍ منَ الجَمْر. جرَّبَ الشّيطانُ جميعَ الوسائلِ لِيُؤجِّجَ النّارَ من جديدٍ: فجمَعَ كلَّ الهالكينَ وجَعَلَهُم يَنْفُخونَ على الجمرِ لأيّامٍ مُتواصِلَةٍ، وقطَعَ أشجارَ غابةٍ بكامِلِها على سَطْحِ الأرضِ وجعَلَ منها أجزاءً صغيرةً من الحطبِ عسى النارُ تلتَهِمُها بسهولةٍ، ثمّ استحْصَلَ على كلِّ الحِجارةِ النّاريّةِ الموجودةِ في الكونِ... وكلُّ هذا، كان دونَ جدْوى!... بدت النّارُ وكأنّها تأبى الاشتعالَ من جديدٍ... هكذا، وبعد ألفِ محاولةٍ باءتْ بالفشَلِ، إنطفأتْ أَلْسِنَةُ النّيرانِ جميعُها تماماً، وَوَجَدَ الشّيطانُ نفسَهُ في كَهْفٍ مُظْلِمٍ مليءٍ بالدُّخان، محاصَرًا بمساحاتٍ شاسِعَةٍ من الرّمادِ الأسودِ!

تعجَّبَ يائسًا: «ماذا سأفعلُ الآن؟! ما يحدُثُ يُضْعِفُ قُدرَتي! أيُ جحيمٍ هذا دونَ نار؟ أما الهالكونَ فسيهزأون بي! ربّما إذا فكّرتُ مليًّا أجِدُ الحلَّ... يجبُ أَنْ أَفْعَلَ شيئًا...» ورُغمَ أنّه شيطانٌ محتالٌ فلم يُفْلِحْ في إيجادِ حلٍّ لمُشكلتِهِ.

جاءَهُ، ذاتَ يومٍ، أَحَدُ خُدّامِهِ، وقال له:«سيّدي، لقد بَدَأَ الجوُّ هنا يبرُدُ، والهالكونَ يتمتّعونَ بذلك، في حين أنّهم هنا لِيُقاسُوا العذابَ... عذابَ الجحيم! عَلِمْتُ أنّ قصرَ النّجمِ المضيءِ القائمِ على سطحِ الأرضِ، يحتوي على أكثرِ من مئةِ مِدْفأةٍ تَتّقِدُ باستمرار، فإذا أطلعناهُ على الأمرِ ربّما يمنحُنا قليلاً من نارِه...» فسُرَّ الشَّيْطانُ كثيرًا بهذه النّصيحة.

وعلى الفورِ صَعِدَ إلى سطحِ الأرضِ وقَرَعَ بابَ قصرِ النّجمِ المضيءِ. وبينما كان ينتظِرُ قدومَ النّجمِ المضيءِ في الخارجِ قال في نفسِهِ: «هِمم... يا لَهذا الدِّفءِ!











إنّني أشعرُ به وأنا في الخارجِ... لا شكَّ أنَّ النّارَ متأجِّجةٌ لَديهِ في الدّاخِلِ»

فُتِحَ البابُ وأطَلَّ النجمُ المضيءُ بشخصِهِ حاملاً بيدِهِ مِصْباحًا صغيرًا تَتَّقِدُ فيه شُعْلةٌ ناعمةٌ. وعندَ رؤيتِهِ لذاكَ الشَّيْطانِ القبيحِ الوَسِخِ المُلطَّخِ بالسِّناجِ، أطلقَ صَرْخَةً: «آهِ، ما هذا؟!» فقال له الشّيطانُ: «عَفْوَكَ، لا تَخَفْ...» واستدارَتْ عيناهُ فرَحًا عندَ مشاهدَتِهِ تلكَ الشُّعلة. ثمّ حاوَلَ اتّخاذَ نبرةٍ أكثرَ... لُطفًا، وفيما هو يحدِّقُ بالمِصباحِ، تابعَ قائلاً: «أنا هنا لأسألَكَ أمْرًا واحدًا فقط!»

سألَهُ النَّجمُ المضيءُ وهو غيرُ مطمئنٍّ إلى كلامه: «وماذا يُريدُ منّي واحدٌ... مثلُكَ؟!»

بدأ الشّيْطانُ يشرَحُ مُشكِلَتَه، وقد حاوَلَ بجُهْدٍ جهيدٍ التّظاهُرَ بمظهرِ المِسْكين: «أُنْظُرْ هناكَ، في القعرِ حيثُ أعيشُ... حدثَ أمرٌ... غريبٌ، ونحنُ في حالةِ طوارئ، ولعلّكَ... نعم، أنتَ أيُّها النَّجمُ المضيءُ اللّطيفُ تستطيعُ مساعدَتَنا في إيجادِ حلٍّ...». فكان، من الصَّعبِ عليْهِ جِدًّا أن يُتِمَّ كلامَهُ متصرِّفًا بأدَبٍ وهدوءٍ فتابعَ بصوتٍ عالٍ: «باختصار، إنْطفأتْ نارُنا! هيّا، أعْطِنا قليلاً من نارِكَ، فينتهي الموضوع! هيّا، تحرّكْ، إفعلْ شيئًا!». فأجابَه النَّجمُ المضيءُ مغتاظًا من فظاظةِ كلامِهِ: «أنتَ مخطئٌ أيّها الشّيطانُ الوقِح!»

أصرَّ الشّيْطان: «إنّكَ تملِكُ أكثرَ من مئةِ مِدفأةٍ تتَّقِدُ فيها النّارُ طَوالَ اليومِ... فلن تَشْعُرَ بالبردِ إذا تخلَّيْتَ عن واحدةٍ منها».

كرَّرَ النَّجمُ المضيءُ: «لا أستطيعُ، تعلَمُ جيِّدًا أنّني بحاجةٍ إلى الكثيرِ والكثيرِ من الدِّفءِ، والنّارُ داخلَ القصرِ تكادُ لا تكفيني. آسِفٌ، لأنّني إذا أعطيتُكَ قليلاً من الدِّفءِ أشْعُرُ حتمًا بالبَرْدِ!»

غَضِبَ الشّيطانُ ودفعَ النَّجْمَ إلى داخلِ القَصْرِ وقال: «لا يُفيدُكَ التمسُّكُ برأيِك، هيّا، دعْني أدخُلْ وآخُذُ القليلَ من هذِهِ النّار.»

فقالَ له النَّجمُ المضيءُ متذمِّرًا: «قلتُ لكَ إنّني لا أستطيعُ! لا يمكنُني التّخلّي حتى عن مَشْعَلٍ واحد».

رفعَ الشّيْطانُ صوتَه: «آهِ، حقًّا؟!» وتبدَّلَ لونُ وجهِهِ وتحوَّلَ إلى أخضرَ أكثرَ مما كانَ عليهِ، وقال مُهدِّدًا: «ستحصُلُ على ما تستحقُّ أيُّها الأحمقُ».

ثم أطْلقَ رَكْلةً عنيفةً جدًّا باتّجاهِ النَّجمِ المضيءِ، فطارَ هذا الأخيرُ ككُرَةِ مِدْفعٍ وفتحَ فَجْوةً في سَقْفِ القَصرِ... ومضى فالتَصَقَ بالسَّماء!

وهكذا، منذُ ذلك اليوم، بَقِيَ النَّجمُ المضيءُ في السَّماءِ حيثُ هو الآن، يحاوِلُ عَبثًا التّدفُّؤَ بالمَشْعَلِ الذي كان يحمِلُه. فحزِنَ حُزْنًا شديدًا. وأصبحَ يُضيءُ الأرضَ بنورٍ ضئيلٍ في تلكَ اللّيالي الصّافية.

أما الشّيْطانُ، فاستفادَ من غيابِ النَّجمِ المضيءِ واستولى على المدافئِ وجاءَ بها إلى قعْرِ الأرضِ، إلى الجَحيمِ حيثُ لم تخمُدِ النّارُ مُنْذُ ذلكَ الحين!





السَّماعِنَةُ السَّبْعَةُ

كانَ في قَديمِ الزّمانِ فلاّحٌ وزوجتُهُ، وقد تَألّما طويلاً لأنّهما لَمْ يُنْجِبا أبَدًا. إلى أنْ، ذاتَ يومٍ، وبعدَ أنْ كانا قد فَقَدا الأملَ، تحقّقَتْ أُمنيَّتُهما ورُزِقا ليسَ بطِفْلٍ واحدٍ فحَسْبُ، ولا بإثْنين، أو ثلاثةٍ أو أربعةٍ، بل... بسَبْعةِ أطفال. سُرَّ الفلاّحُ وعقيلتُهُ كثيرًا، وبعدَ أنْ كان الحُزْنُ قد لفَّ كوخَهُما الحزينَ... ها هي الآنَ أصواتُ سَبعةِ أطفالٍ رائعي الجمالِ تملأُ الكوخَ!

قال الفلاّحُ: «زوجتي الحبيبةَ، هذا أجملُ يومٍ في حياتي! نعم! لا شكَّ أنَّ سبعةَ أولادٍ عددٌ كبير، لكنّهم يَمْنحونَني فَرَحًا عَظيمًا، ورُغْمَ أنّني سأُضاعِفُ العملَ ثلاثَ مرّاتٍ، فَلَنْ أشعُرَ بالتَّعَبِ أبدًا... أمّا الآن... فماذا نُسمّيهم؟»

فكَّرَتِ الإمْرأةُ مطوّلاً واقترحَتْ أسماءَ عديدةً، لكِنَّ أحدًا منها لم يُعْجِبِ المُزارِع. فقال: «إنّ أولادي مُمَيَّزون، لذلك يَجِبُ أن يحمِلوا إسْمًا مُمَيّزًا!» فكّرا وفكّرا، وفي النّهايةِ قرّرا إعطاءَ إسمٍ واحدٍ للأطفالِ السَّبعةِ وهو: «سِمْعان».

بدا السَّماعِنةُ السَّبْعَةُ مميزينَ في كلِّ شيءٍ: نموا بصِحّةٍ وعافيةٍ وكانوا أقوياءَ البُنْيَةِ، أذْكياءَ، ماهرينَ وشُجْعان. ولكِنْ ويا للأسفِ لقد تُوُفِّيَ والداهما وهم في السَّنةِ العاشِرَةِ من عُمْرِهم، وكونُهُم فِتيانًا حُكَماءَ استطاعوا تدبيرَ أَمْرِهِم بنفسِهِم وواظَبوا على ممارسَةِ مِهْنَةِ والدِهِم.

مضت بِضْعُ سَنواتٍ، وذاتَ صباحٍ مرَّ القيصرُ بالقُربِ من مَنْزِلِهِم: وكان السَّماعِنَةُ السَّبْعَةُ، كعادتِهِمْ كلَّ يومٍ، منهمكينَ بالعَمَلِ في الحَقْل.

شاهدهُم القيصرُ يعملونَ كرجالٍ كبارٍ متمرِّسين، مَا أثارَ فُضولَهُ لِمَعْرفةِ المزيدِ عَنْهم، فسألَ مرافِقيه: «مَنْ هم هؤلاءِ الفِتيانُ؟!»

أجابَهُ أحدُ الفُرسانِ: «إنَّهمْ سَبْعةُ يتامى، وهُمْ سَبْعةُ أُخوة! يعملونَ في الحقلِ كوالدِهِم ليكسَبوا عيشَهُمْ.









لذلك اضطرّوا إلى عَدَمِ الدُّخولِ إلى المدرسة» تأثَّرَ القيصرُ بذلِكَ وقرَّرَ في اليومِ التّالي استدعاءَ الفتيانِ السَّبْعَةِ، وحدَّثهُم بنبرةٍ أبويّة قائلاً: «يا أولادُ، أَعْلَمُ أنّكُم لِوحدِكم، لكنْ ليسَ من العدلِ أن تَتْرُكوا العِلْمَ جانبًا... لذلك أودُّ مساعدَتَكُمْ، فسأَمْنَحُكُمُ الفرصةَ لِيَتَعَلَّمَ كلّ واحدٍ منكُمُ الإختصاصَ الذي يُحِبّ».

ثمّ توجَّه إلى أوّلِ سِمعانَ وسأله: «قل لي أيُّها الفتى؟ ما هو مَيْلُكَ؟ تُفَضِّلُ الفنونَ أمِ العلوم؟»

أجابَهُ الشّابُّ: «سيِّدي، لا الفنونَ ولا العلومَ... ففي الحقيقةِ أريدُ أَنْ أُصْبِحَ حَدّادًا. فأنا أملِكُ القِدرةَ على بناءِ سُلَّمٍ حديديّ عالٍ جدًا يُلامِسُ الغيومَ!». هَتَفَ القيصَرُ: «إذًا، تُحِبُّ العملَ اليَدَويّ... حسنًا يا فتى، فإذا كانتِ الدِّراسةُ لا تَسْتَهْويك، ستُصبِحُ حدّادًا كما تتمنّى!»

ثم توجَّهَ إلى سِمعانَ الثاني: «وأنتَ أيَّ علمٍ ستُحَصِّلُ؟!»

أجابَهُ الشّابُّ: «العلمُ؟! سيّدي أُريدُ أن أكونَ فعّالاً بطريقةٍ أخرى، فإذا أَصْبَحَ أخي حدّادًا وبنى سُلَّمًا يلامِسُ الغيومَ، فأنا سأتسلَّقُ السُّلَّمَ حتى أعلاهِ ومن فوقُ يُمكِنُني أن أُفيدَكَ بكلّ ما يجري في العالم: أملِكُ نظرًا حادًّا وثاقبًا!» وافقَ القيصرُ مندهشًا: «حسنًا، يا فتى! يُمْكِنُنا حقًّا الإستفادةُ من قِدرَتِك، ما يَعني أنّكَ لن تذهبَ إلى المدرسة!» وحانَ دورُ الثّالث، فأجابَ قبلَ أن يسألَهُ القيصرُ: «سيّدي، أنا أيضًا لا أرغبُ في الذّهابِ إلى المدرسة. فإذا صنعَ لي أخي الحدّادُ فأسًا، أستطيعُ بواسطتِهِ صُنعَ جميعِ السّفنِ التي ترغبُ فيها!» فدُهِشَ القيصرُ وقال: «إنّك حقًّا ماهرٌ!»

فتدخّلَ الرّابعُ: «أما بالنِّسبَةِ إليّ، سيّدي، فإذا هاجَمَ الأعداءُ إحدى هذه السُّفُنِ، أستطيعُ غمرَها بالماء، بهدفِ حمايتِها، ثم تعودُ لِتبرُزَ من جديدٍ على سَطْحِ المياهِ وذلك دونَ أن يتأذّى أحدٌ من أفرادِ طاقَمِها».

«أنتَ ساحرٌ أمّ ماذا؟!» قالَ له القيصرُ ثم أضاف : «سنستعينُ بكَ دون شكّ!»

تقدّمَ الخامسُ وقالَ: «لستُ بحاجةٍ لأتعلّمَ في المدرسة! فبالبندقيّةِ التي يصنعُها لي أخي الحدّاد، أستطيعُ أن أصطادَ أيَّ عُصْفور... ومهما كانتِ المسافة!» فعلّقَ القيصرُ مُستَنتِجًا:«إنكَ صيّادٌ ماهرٌ إذًا؟! فأنتَ لا تنوي الدِّراسَةَ أيضًا!»

عندئذٍ بادرَ السّادِسُ بالقول: «أما أنا فبإمكاني التقاطَ الطَّيرِ الذي أصابَهُ أخي وإعادةَ الحياةَ له!» تساءَلَ القيصرُ: «إذًا، أنتَ أيضًا ساحرٌ؟!» ثم أضافَ متوجّهًا بالكلامِ إلى سمعانَ السّابع: «وأنتَ يا شابّ؟!»

«أنا؟!» قالَ الفتى: «لا أبغي الدّرسَ ولا العملَ... فإن ما يروقُ لي، يا سيّدُ، هو السَّرقَةِ!» قال هذا بكلّ بساطةٍ وصِدقٍ وعفْويّة. فهو كسائرِ أخوتِه، إضافةً إلى كونِه قويًّا وشجاعًا، لا يعرِفُ الكَذِبَ.

صاحَ القيصرُ عند سَماعِه هذا الكلامَ مغتاظًا: «السَّرقَة؟! إنّكَ عارٌ على إخوتِك! أُخرُجْ مِنَ القَصرِ فورًا!» لكنّ المستشارَ الأوّلَ للقيصرِ لم يُرَحِّبْ بطَرْدِ سِمْعانِ، فاقتربَ منه قائلاً: «سيّدي، رجاءً، لا تَطْرُدِ الفتى. فرُغْمَ ذلك فهو يصلُحُ لكثيرٍ من الأعمال...»





أجابَ القيصرُ بلَهجةٍ عنيفةٍ غاضباً: «ماذا تقولُ؟ أراكَ تُلَمِّحُ إلى أنَّ من عادتي الاستعانَةَ بلُصوصٍ طُفَيْليين!؟» ثمّ هَمَّ بطردِ مستشارِهِ أيضًا. فإذا بهذا الأخيرِ يُذكِّرُ القيصرَ: «سيِّدي، منذُ زَمَنٍ وأنتَ تحبُّ أميرةَ المملكةِ المجاورةِ الكائنَةِ خلفَ البِحارِ ووالدُها لا يَسْمحُ لها بالزَّواجِ منكَ... فلماذا لا تطلُبُ، مثلاً، من الفتى السَّابعِ أن... يَخْطِفَها... نَعَمْ... أن يَسْرِقَها ويأتيَ بها إلى بَلاطِكَ؟!»

أخَذَ القيصرُ موقفًا رصينًا وراح يُفَكِّرُ بالأمرِ، ثم ظَهَرتْ بسمةٌ على شَفَتَيْهِ وأشرقَ وَجْهُه، وهَتَفَ: «إنّها فِكْرَةٌ سَديدة! ما رأيُكَ أيها الشّابُّ!؟ إذا تمكَّنْتَ من خَطْفِ الأميرةِ التي أعشَقُ... لنرَ... نعم... لنرَ... سأجْعَلُكَ قائدَ جيشي! وذلك شرطَ أن تَعِدَني بألاّ تسرقَ بعدَها أبدًا!»

أقْسَمَ الصَّبيُّ السَّابعُ عَلَنًا، أمامَ الجميعِ قائلاً: «سأجلِبُ لكَ الإمرأةَ التي تُحِبُّ، ثم أعْدِلُ بعدَها عن السَّرِقَةِ. لكنّني بحاجةٍ إلى أخوتي معي».

«موافِق» قال القَيْصَرُ.

فأضافَ سِمْعانُ السّابعُ: «وقبلَ كلِّ شيءٍ أُريدُ أن يحصلَ أخي على مَشْغَلٍ يعملُ فيه».

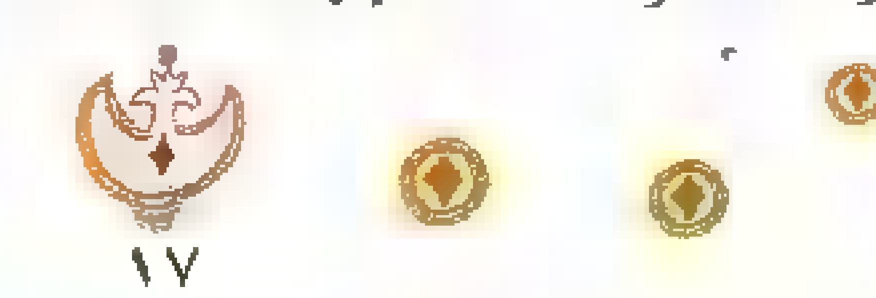
فأمرَ القيصرُ رجالَه بأن يبنوا على الفورِ مَشْغلاً كبيرًا للحدّاد. وراحَ سِمْعانُ الأوَّلُ يعملُ، فجهَّزَ الفأسَ والبُنْدُقِيَّةَ لأخويه. عندئذٍ أسرعَ سِمْعانُ الثّالثُ إلى الغابةِ وقطعَ كثيرًا من الأشجارِ، وبأسرعِ من البرقِ شَيَّدَ سفينةً رائعةَ الجمال!

تأمَّلَ القيصرُ السَّبعةَ فتيانٍ كيفَ يعملونَ بجَهدٍ وجِدٍّ وكيف يعاونُ بعضُهم بعضًا فقالَ في نفسه: «إنّهم فِعْلاً شُبّانٌ ماهرون!...»

قاطعَ سِمْعانُ السّابعُ خَيالَ القيصرِ قائلاً: «أما الآن، أيُّها القيصرُ، أريدُ بالإضافةِ إلى الطَّعام والشّراب، أن تملأ السَّفينةَ بالحِلي والقُماشِ الثَّمين، وذلك كي أتمكَّنَ من جَذْبِ الأميرةِ الشّابّة... أعرفُ بماذا تفكِّرُ... لا تخفْ لن أسرِقَ أغراضَك... لقد قطعتُ وعْدًا!»

وَثِقَ القيصرُ بالشّابِّ واستجابَ لِكُلِّ مطالبِه.

حانَ يومُ الإنطلاقِ، وقبلَ أن تُبْحِرَ السَّفينةُ، جهَّزَ سِمْعانُ الأوَّلُ السُّلَّمَ، وصَعِدَ سِمْعانُ الثّاني على دَرَجاتِ السُّلَّمِ بلمحِ البَصرِ فوصلَ إلى أعلى دَرَجةٍ ونظر حولَه، ونادَى بأعلى صوتِه ليسمَعَهُ القيصرُ: «ها هي! إنّني ارى مملكةَ الأميرةِ! كما أنّني أرى الأميرةَ أيضًا... إنّها فاتنة!...»





تَحرَّكَتْ مشاعِرُ القيصرِ وتنهَّدَ قائلاً: «لا شكّ أنّها أجملُ فتاةٍ في الكونِ! هيّا، أسْرِعوا، وأتِمّوا المَهمَّة!»
نزلَ الفتى عن السُّلَّم، ودلَّ أُخوتَهُ على الاتّجاهِ الذي يجبُ أن يَسْلُكوه. وقبْلَ أن تخرُجَ السَّفينةُ من المرفإ، أسرَعَ الفتى السّابعُ إلى المنزلِ وجاءَ بهرِّهِ المدرَّبِ، وقال: «هيّا، يُمكنُنا الإنطلاقُ الآن! فرفعَ البحّارَةُ المِرْساةَ وانطلقتِ السَّفينةُ كَدَفْعِ الرِّيح. وحيّا السَّماعِنَةُ السَّبْعَةُ الجميعَ وصرَخوا: «إلى اللِّقاء... سنعُودُ برِفْقَةِ الأميرَةِ...»! أبْحرَتِ السَّفينةُ لأيّامٍ وأيّامٍ ولأسابيعَ وأشهرٍ... إلى أن رَسَتْ، ذاتَ صباحٍ على شاطئِ تِلْكَ المَمْلكةِ المقصودَة. نزلَ الشّابُّ السّابعُ من السَّفينةِ مُصْطَحِبًا مَعَه هِرَّهُ وأسرعَ إلى القصرِ المَلَكيّ. فجلسَ على الأرْضِ أمامَ مَدْخَلِ القصرِ يلعبُ مع هِرِّه. فبدأ الهِرُّ يقفزُ، لِيَجلِبَ ما يرميهِ الفتى، ثم بإشارةٍ من سيِّدِهِ يتظاهرُ بالسُّقوطِ أرضًا كالميْتِ ثم يعاودُ السَّيْرَ على قائمَتَيْه... فأطلّتْ الأميرةُ من نافِذةِ غُرْفَتِها وراحتْ تتأمّلُ حركاتِ هذا الحيوانِ المُضْحِك... نعم، إنّه مُضْحِك، ففي تلكَ المملكةِ لا وجودَ للهِررة. فتساءَلَتِ الأميرةُ: «ما هذا الحيوانُ الغريب؟... كم أرغبُ في أن أراهُ عن قُرْب...» عندئذٍ أرسلتِ الأميرةُ خادِمتَها لتطلُبَ من الشّابِّ أن يبيعَها ذلكَ الحيوانَ اللَّطيفَ الغريب. فأجابها الشّابّ: «إنّ هِرّي ليسَ للبيع، بل إنّهُ لَشَرَفٌ لي أن أقدِّمَهُ هديَّةً للأميرة!».
وكانتِ الأميرةُ تنتظرُ من على الشُّرفَةِ، فسمِعَتْ كلامَ الشّابّ، فخرجتْ على الفورِ لمُقابَلَتِه. فقالَ لها الشّابُّ: «أيّتُها الأميرةُ الظَّريفَة، اسمحي لي أنْ أقدِّمَ لكِ هِرّي كَهَديَّةٍ». قالَ هذا ووضَعَ الهِرَّ بين ذِراعَي الأميرة، فبدأ يتحرَّكُ ويموء... فقالتِ الأميرةُ: «ربَّما لا يريدُ البَقاءَ معي». وقدْ حاولَتِ الصُّمودَ أمامَ نفورِ الحيوان.
عند ذلك قالَ الشّابّ: «إذًا، لا بأسَ، سأحْمِلُهُ إلى البَلاط، وهناك أعلِّمُكِ كيفَ تعتنينَ به،... وكيف تمرَحينَ معه!...» قَبِلتِ الأميرةُ، وأمضتِ النَّهارَ كُلَّه تتعلَّمُ ألعابَ سِمْعانَ وهِرِّه، وحلَّ المساءُ دون أن يشعُروا بمُرورِ الوَقْتِ. تَسَلَّتِ الأميرةُ وطَلَبتْ من الشّابِّ أن يعودَ في اليومِ التّالي. ومنذُ ذلك الحينِ، أصبحَ الشّابُّ السّابعُ يأتي إلى القَصْرِ كلَّ يومٍ لِيُسَلّيَ الجميعَ بهرِّه.





ذاتَ يومٍ صارحَ سمعانُ الأميرةَ قائلاً: «أتعلمينَ ؟، إنني آتٍ من بَلَدٍ بعيدٍ وبعدَ بِضعةِ أيّامٍ سنعودُ أُخوتي التُّجّارُ وأنا إلى بَلدِنا... أترغبينَ بزيارةِ سفينتي؟ إنّها مُحَمَّلَةٌ بالقُماشِ والحجارةِ الكريمةِ... ما رأيُكِ؟ وسأعرِّفُكِ بأُخوتي!...»

وثِقَتِ الأميرةُ بصديقِها الجديدِ، فَقَبِلَتْ دعوتَه، وحين وصَلا إلى السّفينة، راح الشّابُّ يُريها القُماشَ الدِّمقسيَّ الثَّمينَ، والحريرَ المطرَّزَ... ثمّ الماسَ، والياقوتَ الأَزْرَقَ والأحمرَ. والسّاتانَ والحريرَ البرّاقَ والزُّمُرُّدَ واللُّؤلُؤَ...

ذُهِلَتِ الأميرةُ بتلكَ الثَّرْوَةِ، ولم تَنْتَبِهْ إلى أنّ السَّفينَةَ... قدْ أبْحَرَت!

فعندَ حُلولِ الظَّلامِ كانتِ السَّفينةُ قد ابتعدتْ كثيرًا عن الشّاطئ، فأدركتِ الأميرةُ أنّها خُدِعَتْ، فقالَتْ وخَيْبَةُ الأَمَلُ بارزَةٌ في نبرةِ صوتِها: «يا صديقي سِمْعانُ، لقد وَثِقْتُ بِك، أمّا أنْتَ فقد خَدَعْتَني، لكنّكَ لن تستطيعَ إبعادي عن مَمْلكتي!»

قالتْ هذا وهَرَعَتْ إلى جِسْرِ السَّفينَةِ، وراحَتْ تركُضُ باتّجاهِ مُقدَّمةِ السَّفينةِ وهي تتلفَّظُ بجُملٍ سِحْريَّةٍ علَّمتْها إيّاها السّاحرة، وفجأة... تحوّلتِ الأميرةُ إلى حَمامةٍ بيضاءَ وحلّقتْ في السّماءِ!

أسرعَ سِمْعانُ الخامسُ، فأخذَ بندقيَّتَه، وأطلقَ النّارَ على الحمامَةِ فأصابَها. وقبلَ أن تَسْقُطَ في المياهِ، رمى سِمْعانُ السّادِسُ بنَفْسِه والْتَقطَها وَوَضَعَها في السَّفينَةِ وأعادَ إليها الحياةَ. فعادت أميرةً من جديد. عندئذٍ صرخَ سِمعانُ الثّاني: «إنتبهوا، هناكَ من يلاحِقُنا!» الْتفتَ أُخوتُهُ فشاهدوا سَفينةَ مَلِكِ البَحْرِ والد الأميرةِ تسيرُ نَحْوَهم بسُرعَةٍ جُنونيَّة. وعلى الفورِ تدخَّلَ سِمْعانُ الرّابعُ وجعلَ سفينَتَه تحتَ الماءِ! فأكملَ ملكُ تلك المملكةِ سيرَه، يَبْحَثُ ويبحثُ، لكنّ السَّفينةَ التي لمحَها قدِ اختَفَتْ!

فسَلَّمَ أمرَهُ للقَدَرِ، وعادَ إلى مَمْلَكَتِهِ دون ابْنَتِه. وبعدَ أن زالَ الخطرُ عنهم، أعادَ الشّابُّ السَّفينةَ إلى سَطْحِ المياهِ وتابعوا رِحْلَتَهُم بهدوءٍ واطْمِئْنانٍ حتى وصلوا إلى بلدِهِم.

عندما التقى القيصرُ حبيبتَهُ قال لها: «أيّتُها الأميرةُ الشّابَّةُ الجميلةُ، أحبَبْتُك منذُ زمنٍ وكان والدُك يرفُضُ زواجَنا... لذلك اضْطُرِرْتُ إلى استعمالِ جميعِ الوسائِلِ كي تكوني بقُرْبي: فأرسَلْتُ الشّبابَ السَّبْعَةَ ليَخْطَفوكِ... أعتذرُ منكِ على هذا الأسلوبِ لاقتيادِكِ إلى هنا، لكنْ كانتْ هذه الطَّريقةَ الوَحيدَةَ... أرْجو منكِ السَّماحَ... كما وأنّني أسألُكِ أن تَكوني زوجةً لي!...»

دُهِشَتِ الأميرةُ بلطافَةِ القيصرِ وألفاظِهِ المهذَّبَةِ، فرَقَّ قلبُها وأجابَتْ: «سيِّدي، يبدو أنّكَ لطيفُ الرُّوحِ، وأنَّ حُبَّكَ لي صادقٌ. سأُسامِحُكَ، كما سأسامحُ الشّبابَ وبخاصّةٍ الشّابَّ الذي خَدَعني... ويسرُّني أن أكونَ زوجةً لكَ... وأنا متأكّدةٌ من أن والدي، عندما يرى حُسْنَ طَبْعِك، سيَرْضى بكَ، ولن يُعارِضَنا بشيءٍ!»

وبعد فترةٍ عُيِّنَ سِمْعانُ السّابعُ قائدًا للجيش، أما أُخوتُهُ فأصبحوا مستشاري القيصرِ الذي عاشَ مسرورًا برِفْقَتِهِمْ وبرِفْقَةِ عَروسِه الفاتِنَة... التي طالَما انْتَظَرَها!.



صَيدُ السَّمَكِ في الغابَة

منذُ زَمَنٍ بَعيد، وَفي قَرْيَةٍ مُنْعَزِلَةٍ في قَلْبِ الرِّيفِ الرّوسِيِّ الواسِعِ، كانَ يَعيشُ فلاّحٌ يَعْمَلُ في الحُقولِ الشّاسِعَةِ لِحِسابِ أَحَدِ كِبارِ المَلاّكين. وكانَ هذا الفلاّحُ يَسْكُنُ في كوخٍ صَغيرٍ مَعَ زَوْجَتِهِ. أَرْسَلَهُ سَيِّدُهُ ذاتَ يَوْمٍ لِمُساعَدَةِ الفَلاّحينَ الّذينَ كانوا يَحْرُثونَ الحقولَ المُجاوِرَةَ لِلْحُقولِ التي يَهْتَمُّ بِها. وَعِنْدَما أَتَمَّ المَهَمَّةَ، أَرادَ العَوْدَةَ إِلى المَنْزِلِ، فَسَلَكَ طَريقًا لَمْ يَسْلُكْهُ مِنْ قَبْل، وإِذا بِهِ يُشاهِدُ كوخًا مَهْجورًا. تَساءَل: «هَلْ سَأَجِدُ فيه أغْراضًا تَلْزَمُني، يا تُرى؟!» رَكَلَ البابَ القَديمَ المُخَلَّعَ بِرِجْلِهِ فَانْفَتَح. لَمْ يَجِدْ شَيْئًا في الدّاخِلِ سِوى كَومَةِ أَكْياسٍ فارِغَةٍ أَكَلَها الغُبارُ وَبِضْعَةِ أَلْواحٍ خَشَبِيَّةٍ غَزَتْها الفِئْرانُ. وَبَيْنَما كانَ يَهُمُّ بِالخُروجِ وَخَيْبَةُ الأَمَلِ بارِزَةٌ عَلى وَجهِهِ، لاحَظَ، خَلْفَ تِلْكَ الأَكْياسِ الفارِغَةِ المُكَدَّسَةِ، كيسًا مُخْتَلِفًا، وَقَدْ بَدا أَنَّهُ يَحْتَوي عَلى شَيْءٍ ما. فَفَكَّر: «ماذا يوجَدُ في داخِلِهِ يا تُرى... مِنَ المُؤَكَّدِ بذورٌ بالِيَةٌ فاسِدَةٌ!» ثُمَّ أَزاحَ الأَكْياسَ، وَبِالرُّغْمِ مِنْ كَثافَةِ الغُبارِ المُتَصاعِدِ مِنْها تَمَكَّنَ مِنَ الحُصولِ عَلى الكيسِ المُنْتَفِخِ المُخْتَلِف. فَفَتَحَهُ عَلى الفَوْرِ...

«أَمَعْقول، ثَرَواتُ روسِيّا مَوْجودَةٌ في داخِلِهِ!» هَتَفَ الفَلاّحُ ثُمَّ أَضافَ مُتَعَجِّبًا: «إِنَّهُ... ذَهَبٌ!» لم يُصَدِّقْ ما شاهَدَتْ عَيْناه: «مِئاتٌ وَمِئاتٌ مِن قِطَعِ النُّقودِ بَيْنَ يَدَيَّ؟!» طارَ مِنَ الفَرَحِ، رَبَطَ الكيسَ وَبِجُهْدٍ كَبيرٍ حَمَلَهُ عَلى كَتِفِهِ ثُمَّ وبِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُ تَوَجَّهَ إِلى المنزل. وَأَثْناءَ عَوْدَتِهِ راحَ يُرَدِّدُ: «كَمْ أَنا مَحْظوظٌ! كَمْ أَنا مَحْظوظٌ!» وَرُغْمَ ثِقْلِ تِلْكَ النُّقودِ كانَ يَتَنَقَّلُ بِخِفَّةٍ هائِلَةٍ.

وما إِنْ وَطِئَ عَتَبَةَ المَنْزِلِ حتّى صَرَخَ: «زَوْجَتي، زَوْجَتي، أُنْظُري ماذا وَجَدْتُ! أَصْبَحْنا أَغْنِياءَ! لَقَدْ أَصْبَحْنا أَثْرِياءَ!» وَعِنْدَما شاهَدَتِ المَرْأَةُ تِلْكَ النُّقودَ البَرّاقَةَ ابْتَهَجَتْ كَثيرًا، وَلِشِدَّةِ فَرَحِهِما ارْتَجَلا رَقْصَةً! بَعْدَئِذٍ قالَ لَها الرَّجُلُ: «أَمّا الآنَ فَيَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نُخَبِّئَ هَذا الكَنْزَ في مَكانٍ آمِنٍ». ثُمَّ اتَّخَذَ نَبْرَةً جِدِّيَةً وقال: «يَجِبُ أَلاّ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِهذا الكَنْزِ... كَما وَأَنَّنا سَنَنْسى المَوْضوعَ لِبَعْضِ الوَقْتِ ثُمَّ نَتَمَتَّعُ بِهذِهِ الخَيْراتِ، أَلَيسَ كَذَلِكَ يا عَزيزَتي؟!» ثُمَّ خَفَضَ صَوْتَهُ وَكَأَنَّ أَحَدًا ما يَسْمَعُهُ وَتابَعَ قائِلاً: «إِذًا يا زَوْجَتي الحَبيبَةَ أَيْنَ تَظُنّينَ أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحسَنِ إِخْفاءُ هَذِهِ الهِبَةِ السَّماوِيَّةِ؟!»

«تَحْتَ أَلْواحِ الأَرْضِ الخَشَبِيَّة» إِقْتَرَحَتِ المَرْأَةُ بَعْدَ أَنْ فَكَّرَتْ مَلِيًّا، ثُمَّ أَضافَتْ: «نَعَمْ إِنَّهُ المَكانُ الأَكْثَرُ أَمانًا!»



«إنَّكِ عَلى حَقّ» قَالَ الرَّجُلُ وَبِسُرْعَةِ البَرْقِ رَفَعَ بَعْضَ الأَلْواحِ وَرَتَّبَ الكيسَ الثَّمينَ تَحْتَها ثُمَّ أعادَها كَما كَانَتْ سابِقًا.

ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى زَوْجَتِهِ بالقَوْل: «أوصيكِ! دَعي فَمَكِ مُطْبَقاً»...!

لَكِنَّ الفَلاّحَ يَعْرِفُ زَوْجَتَهُ جَيِّدًا... فَهُوَ يَعرِفُ أَنَّها ثَرْثارَةٌ كَبيرَةٌ وَكَثيرَةُ القيلِ والْقالِ، وَأَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْها التَّكَتُّمُ. فَفَكَّرَ: «مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ أَبْتَكِرَ مُخَطَّطًا لِتفادي المَشاكِلِ!» وَبِما أَنَّه كانَ حاذِقًا لِلْغايَةِ قَرَّرَ التَّحرُّكَ بِسُرْعَة. فَفي اليَوْمِ عَيْنِه، وَبَيْنَما كانَتْ زَوْجَتُه في الخارِجِ تَنْشُرُ الغَسيلَ، أَخَذَ الكيسَ مِنْ مَخْبَئِهِ وَحَمَلَهُ إلى مَخْزَنِ الغِلالِ وَوَضَعَهُ مَعَ سائِرِ الأَكْياس.

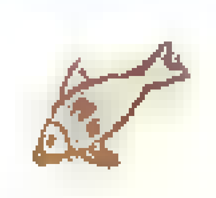
في صَباحِ اليَوْمِ التّالي نَهَضَ مِنَ النَّوْمِ باكِرًا، وَأَخَذَ شَبَكَةَ الصَّيدِ، وَذَهَبَ إلى صَيّادٍ صَديقٍ له وَاشْتَرى مِنْهُ أَرْنَبًا، ثُمَّ انْطَلَقَ إلى السُّوقِ فَاشْتَرى بَعْضَ الأَسْماكِ وقليلاً مِنَ الكَعْكِ الطَّازَجِ، بَعْدَ ذَلِكَ أَسْرَعَ إلى الغابَةِ. وَزَّعَ الأَسْماكَ هُنا وهُناكَ بَيْنَ الأَعْشابِ، وَعَلَّقَ الكَعْكاتِ عَلَى أَغْصانِ شَجَرَةٍ ضَخْمَة، ثُمَّ وَضَعَ الأَرْنَبَ في شَبَكَةِ الصَّيْدِ وَرَماها في البُحَيْرة! وَرَبَطَ رَأسَ الشَّبَكَةِ بِشَجَرَةٍ وَعادَ مُسْرِعًا إلى كوخِه.

كانَتْ زَوْجَتُه ما زالَتْ نائِمَةً، فَصَرَخَ هازًا إيّاها بِذِراعِها: «هَيَّا، اِسْتَيْقِظي يا نَؤومَ ضُحى! إنْهَضي، هَيّا! إنَّه يَوْمٌ رائِعٌ... سَنَذْهَبُ إلى صيدِ السَّمكِ في الغابة!»

فَدَمْدَمَتِ المَرْأَةُ بِصَوْتٍ مَمْزوجٍ بالنُّعاسِ: «كَيْفَ، ماذا؟... هَلْ جُنِنْتَ؟»

قالَ لَها بِتَهَكُّم: «ماذا تَعْرِفينَ أَنْتِ عَنِ الأُمورِ الّتي يَقومُ بِها الرِّجالُ! نَعَمْ، صيدُ السَّمكِ يَكونُ في الغابَةِ أَيَّتُها المَرْأَةُ الحَمْقاء!»





«لَكِنْ!...» حَاوَلَتِ المَرأَةُ الاعتراضَ. فَقاطَعَها الرَّجُلُ قائِلاً: «تَحَرَّكي، إنْهَضي، وَتَعالَي مَعي، سَتَرَيْنَ حَقيقَةَ الأَمْرِ بِأُمِّ عَيْنِكِ!» فَهُوَ يَعْرِفُ أَن إضافَةً إلى كَوْنِها ثَرْثارَةً فَهِيَ فُضولِيَّةٌ وَبَسيطَةٌ... فَتُصَدِّقُ بِبَساطَةٍ كُلَّ ما يُقالُ لَها!

دَفَعَها الفُضولُ إلى النُّهوضِ، فَاغْتَسَلَتْ وَارْتَدَتْ مَلابِسَها بِسُرْعَةٍ، وَدونَ أَنْ تَتَناوَلَ الفُطورَ رافَقَتْ زَوْجَها إلى الغابَةِ. «أَرَأَيْتِ!» قالَ الفَلاّحُ مُشيرًا إلى الأَسْماكِ الَّتي وَزَّعَها، قَبْلَ ذَهابِهِ، بَيْنَ الأَعْشابِ، ثُمَّ أَضافَ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكِ؟!»

وَقَفَتِ المَرْأَةُ فاغِرَةَ الفَمِ أَمامَ المَشْهَدِ وَقالَتْ: «ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَسْخَرُ مِنّي». ثُمَّ جالَتْ بِنَظَرِها وَتابَعَتْ: «إِنَّكَ مُحِقٌّ!» وَهَزَّتْ بِرَأْسِها، مُشَكِّكَةً، وَانْحَنَتْ تَلْتَقِطُ ما أَرسَلَه اللهُ...: تَروتَةٌ... سَمَكَةٌ نَهْرِيَّةٌ... زُنْجورَةٌ... ثُمَّ تَروتَةٌ أُخْرى... مُنْذَهِلَةً راحَتْ تَبْحَثُ عَنِ الأَسْماكِ بَيْنَ الأَعْشابِ العالِيَةِ. فَجأَةً، لَمَحَتْ كَعْكًا مُتَدَلِّيًا مِنَ الأَشْجارِ، فَانْدَهَشَتْ: «أَيُعْقَلُ هذا... كَعْكٌ عَلى الأَشْجارِ؟!» قالَ لَها زَوْجُها: «أَلا تَعْلَمينَ؟ إِنَّهُ أَمْرٌ طَبيعِيٌّ... غالِبًا ما تُمْطِرُ السَّماءُ كَعْكًا فَوْقَ الغاباتِ... لَقَدِ التَقَطَ النّاسُ كُلَّ ما سَقَطَ عَلى الأَرْضِ وَلِشِدَّةِ كَسَلِهِمْ تَرَكوا ما هُوَ مُعَلَّقٌ على الأَشْجارِ.»

هَتَفَتِ المَرْأَةُ مَسْرورَةً: «إِذًا، فَلْنَأْخُذْها نَحْنُ، هَيّا، تَسَلَّقْ وَالتَقِطْها!» تَسَلَّقَ الفَلاّحُ الشَّجَرَةَ وَانْتَزَعَ الكَعْكَ الَّذي عَلَّقَهُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّباحِ.

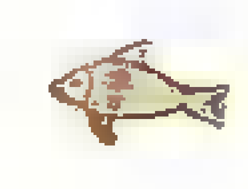
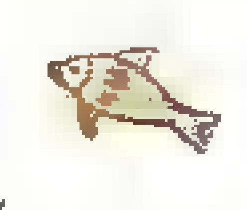
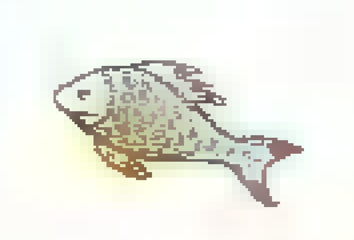
وَعِنْدَما نَزَلَ قالَ مُقْتَرِحًا: «آهِ، قَبْلَ أَنْ نَعودَ، لِنَمُرَّ بِالبُحَيْرَةِ، فَقَدْ أَلْقَيْتُ البارِحَةَ الشَّبَكَةَ... سَنَرى ما إِذا عَلِقَ شَيْءٌ فيها...»

«لَقَدِ اصْطَدْنا السَّمَكَ في الغابَةِ، فَلِماذا رَمَيْتَ الشَّبَكَةَ في البُحَيْرَةِ» قالَتِ المَرْأَةُ مُرْتَبِكَةً حائِرَةً. وَعِنْدَما شاهَدَتْ زَوْجَها يُخْرِجُ مِنَ الماءِ شَبَكَتَهُ وَفيها... أَرْنَبٌ! صاحَتِ المَرْأَةُ جاحِظَةَ العَيْنَيْنِ: «أَرْنَبٌ في البُحَيْرَةِ؟!»

«أَنْتِ حَقًّا جاهِلَةٌ يا زَوْجَتي!» وَبَّخَها زَوْجُها وَأَضافَ: «أَلا تَعْلَمينَ أَنَّ الأَرانِبَ تَعيشُ في البُحَيْرَةِ؟!» هَزَّ الرَّجُلُ بِرَأْسِهِ غَيْرَ راضٍ وَأَكْمَلَ: «لَقَدْ فَعَلْتِ حَسَنًا حينَ أَتَيْتِ مَعي اليَوْمَ إلى الصَّيْدِ! لَقَدِ اكْتَشَفْتِ كَثيرًا مِنَ الأَشْياءِ!» أَضافَ هَذا وَهُوَ يَكْبَحُ نَفْسَهُ عَنِ الضَّحِكِ.

فَكَّرَ: «يَبْدو أَنَّها اقْتَنَعَتْ...» ثُمَّ عادَ إلى المَنْزِلِ مَسْرورًا تَتْبَعُهُ زَوْجَتُه حائِرَةً...

مَضَتْ بِضْعَةُ أَسابيعَ، وَذاتَ يَوْمٍ طَلَبَهُ سَيِّدُهُ لِلْمُثولِ أَمامَه. قالَ لَه مالِكُ الأَرْضِ غاضِبًا: «يُؤْسِفُني أَنَّكَ تَسْخَرُ مِنّي، خاصَةً وَأَنَّكَ تَعْمَلُ لِحِسابي. أُريدُكَ أَنْ تُسَلِّمَني كيسَ النُّقودِ فَوْرًا... فَالكوخُ حَيْثُ وَجَدْتَ تِلْكَ النُّقودَ هُوَ مُلْكي وَبِالتّالي الكَنْزُ يَخُصُّني!»







هَتَفَ الفلاّحُ مُتظاهِرًا بأنَّهُ لا يَدْري بشَيْءٍ: «أيُّ كيسٍ يا سَيِّدي؟... وأيَّةُ نُقودٍ؟...»
هَدَّدهُ السَّيِّدُ: «لا تَتَظاهَرْ بالغباء، القَرْيَةُ بكامِلِها تتحدَّثُ عنِ المَوْضوعِ!» فَأجابَهُ الفلاّحُ بِصَوْتٍ مُتَقطِّعٍ: «سَيِّدي، صَدِّقْني، أنا لا أَمْلِكُ أيَّ كَنْزٍ! فَمَنْ أذاعَ هَذا الخَبَرَ الخاطئ؟» قالَ لَه مالِكُ الأَرْضِ: «إنَّها زَوْجَتُك، يا عزيزي، لَقَدْ رَدَّدتْ لِلْجَميعِ أنَّكَ وَجَدْتَ كيسَ نُقودٍ وَأَنَّكَ تَحْتَفِظُ بِهِ تَحْتَ أَلْواحِ الأَرْضِ الخَشَبِيَّةِ في مَنْزِلِكَ!»
عِنْدَئِذٍ قالَ لَهُ الفلاّحُ وَقَدْ بَدا يائِسًا: «آهٍ، يا سَيِّدي، لا تُصْغي إلى كَلامِ زَوْجَتي، فَهِيَ تَفْقِدُ عَقْلَها في بَعْضِ الأَحْيانِ... إنَّها مَجْنونَةٌ!»
أَصَرَّ المالِكُ على القول: «لا أُصَدِّقُك، فأنا أَعْرِفُ زَوْجَتَكَ، وَلا أظُنُّ أنَّها مَجْنونَةٌ!»
«سَيِّدي، تَعالَ وَتَأكَّدْ بِنَفْسِكَ مِنَ الأمر»، دعاهُ الفلاّحُ إلى مَنْزِلِهِ، وَأضافَ: «يَكْفي أَنْ تَتَحدَّثَ مَعَها لِبِضْعِ دَقائِقَ حتّى تَتَحَقَّقَ مِنْ جُنونِها!» وافَقَ السَّيِّدُ على هذا الاقْتِراحِ، وَقَصَدَ مَنْزِلَ الفلاّحِ بِرِفْقَةِ أَرْبَعَةِ خُدّام.
فَسَأَلَ زَوْجَةَ الفلاّح: «يا امْرأة، أَصَحيحٌ أنَّ زَوْجَكِ وَجَدَ كيسَ نُقودٍ مِنَ ذَهَبٍ؟!»
«نَعَمْ، يا سَيِّدي» أَجابَتِ المَرْأَةُ حانِيَةً رَأْسَها.
.«لَيْسَ صَحيحًا، فَهِيَ لا تُدْرِكُ ما تَقول»، تَدَخَّلَ الفلاّح.
وَعِنْدَما لاحَظَتْ أنَّ زَوْجَها يُخالِفُها الرَّأْيِ، غَضِبَتْ وَصاحَتْ: «لا، بَلْ إنَّهُ صَحيحٌ وألْفُ صَحيح!»
«حَقًّا!» سَأَلَها الفلاّح، و«مَتى حَصَلَ هذا؟ أَخْبِرينا قَليلاً...»
باشَرَتِ المَرْأَةُ: «حَصَلَ... حَصَلَ... لِنَرَ... نَعَمْ، نَعَمْ، أَذْكُرُ ذَلِكَ: حَصَلَ ذَلِكَ في اليَوْمِ الّذي سَبَقَ يَومَ صيدِ السَّمَكِ، عِنْدَما ذَهَبْنا مَعًا لِنَلْتَقِطَ الأَسْماكَ في الغابَة!»
«إصْطِيادُ الأَسْماكِ في الغابَة» انْدَهَشَ السَّيِّد.
«نَعَمْ، يا سَيِّدي، أَخَذْنا التَّروتَةَ والزُّنْجورَة» أجابَتْ المَرْأَةُ مُتَباهِيَةً، «حالَفَنا الحَظُّ ذَلِكَ اليَوْم، فَقَطَفْنا الكَعْكَ الطازَجَ مِنَ الأَشْجارِ... كَما وأَنَّ زَوْجي اصْطادَ أَرْنَبًا مِنَ البُحَيْرَةِ!»
«حَسَنًا!» قالَ المالِكُ مُقْتَنِعًا: «أرى أنَّكَ على حق أَيُّها الفلاّح» ثُمَّ أَخَذَهُ عَلى انْفِرادٍ وَهَمَسَ في أُذُنِهِ: «إنّ زَوْجَتَكَ حَقًّا مَجْنونَةٌ! وَعلى كُلِّ حالٍ سَأَطْلُبُ مِنَ الخُدّامِ أنْ يَتَفَحَّصوا أَلواحَ المَنْزِلِ لِنَتَأكَّدَ مِنْ حَقيقَةِ الأَمْرِ».
وعندما لَمْ يَجِدوا شَيْئًا تَحْتَ تِلْكَ الأَلْواحِ: فالكيسُ كان بِأمانٍ في مَخْزَنِ الغِلال. عادوا أدراجَهُم خائبين.
أَمّا الفلاّحُ الحاذِقُ فَقَدْ تابَعَ العَمَلَ عِنْدَ سَيِّدِهِ لِفَتْرَةٍ وَجيزَة، ثُمَّ ابْتَكَرَ عُذْرًا لِيَنْتَقِلَ لِلْعَيْشِ في قَرْيَةٍ أُخْرى، وَذَلِكَ بِهَدَفِ التَّمَتُّعِ مَعَ زَوْجَتِهِ بِتِلْكَ الثَّرْوَةِ الّتي أغْدَقَتْ عليه.

بابا ياغا



كانَ في قديمِ الزّمانِ، أرملةٌ لها ابنٌ طَيِّبُ القلبِ ولطيفٌ جدًّا وذَكِيّ. وكانَ يُدعى جوري. والحياةُ في الرّيفِ قاسية، فأُمُّه وَحيدةٌ وبحاجةٍ إلى مَنْ يُساعِدُها في رِعايتِه. لذلك قرّرَتِ الأرملةُ الزّواجَ مجدّدًا، ولكِنَّ زوجَها الجديدَ، ويا للأَسفِ، تبيَّنَ، بعدَ فَترةٍ وجيزةٍ، أنّهُ رجلٌ جاهِلٌ، فظٌّ وشرّيرٌ! وهو إلى ذلك، لا يُحبُّ الوَلدَ الصَّغيرَ جوري. وكانَ جوري بدوره لا يَحتَمِلُ تَصرّفاتِ زوجِ والِدتِه. وكانَ هذا الأخيرُ يتذمَّرُ: «هذا الولدُ المُدَّعي يُثيرُ غضبي، سَأتخلَّصُ مِنه عندَ أوّلِ فُرصة!» فهو يشْعرُ بأنَّ هذا الرَّجُلَ شِرّيرٌ وبأنَّه يَجِبُ عليهِ أن يكونَ حَذِرًا منه.

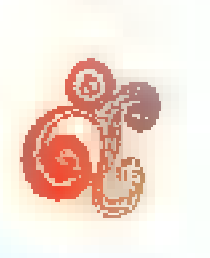
إضْطُرَّتِ الْمَرأةُ ذاتَ يومٍ إلى الذَّهابِ لِزيارةِ أحدِ أقارِبِها وقد أَلَمَّ بِهِ المرضُ، فبقِيَ جوري في البيتِ بمفردِهِ مَعَ ذلك الرّجل. وكان الرَّجلُ، منذُ فترةٍ طويلةٍ ينتظرُ هذه اللَّحظة.

«لقد حانَتِ السّاعةُ، يا جوري الصَّغير!» قالَ في نفسِه وخرجَتْ من فمِه قَهْقَهَةٌ شِرِّيرَةٌ يَقْشَعِرُّ البَدَنُ لِسَماعِها. ثم قالَ للصَّبيّ: «يا جوري، أُريدُكَ أن تذهبَ إلى عَمّتي... إنّها تَسْكُنُ في آخرِ كهفٍ هناكَ في عُمْقِ الغابَة، قُل لها أنْ تُعطيَكَ القُماشَ الذي حاكَتْه لي.»

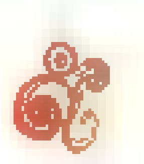
كانَ جوري ولدًا واعيًا، فَشَكَّ في الأمرِ، وفكّرَ: «آخرُ كَهْفٍ في عُمْقِ الغابةِ؟ لا أَحدَ يجرؤُ على الدُّنُوِّ منه... طبعًا، إنّه هو... كهفُ بابا ياغا صاحبةِ الرِّجْلِ العَظْمِيَّة! السّاحرةِ العجوزِ... التي تأكلُ الأولادَ!» هذه الأفكارُ جعلتْ رُكبَتَيْهِ تَصْطَكّانِ منَ الخوف.

«أما زِلتَ هنا؟!» رَعَدَ صوتُ الرَّجُلِ بغَضَبٍ حينَ رأى الولَدَ لم يهُمَّ بالذَّهابِ، فأضافَ: «هيّا، أَسرِعْ وإلاّ تَذوَّقْتَ طعْمَ عَصايَ!»

إن هذا الرّجُلَ شرّيرٌ حقًّا وأنانيّ، فجوري يَمْقُتُه... إلاّ أنّه كانَ يخافُهُ كثيراً لذلكَ تظاهرَ جوري بالطّاعَةِ وتوجّهَ إلى الغابَة، لكن... بدَلَ أن يأخُذَ الطّريقَ المؤدّيَ إلى كَهْفِ بابا ياغا،







ذهبَ إلى عمَّتِهِ الأَصْليَّةِ ليطلُبَ منها النُّصحَ. فهي تَسْكُنُ في أوَّلِ الغابة.

«يا ابنَ أخي العزيزَ!» هَتَفتْ عَمَّتُهُ مسروةً عندما شاهدَتْه، «يا نورَ عيني، لِمَ أنتَ هُنا، يا حبيبي؟!»

رَوى لها جوري القِصَّةَ بحَذافيرِها: فأَخبرَها بأَنَّ أمَّهُ كانت خارجَ المنزل، كما أَخبرَها عن القُماشِ وعن الرَّجُلِ الذي يَكْرَهُه، وعن شُكوكِهِ في أمرِ العجوزِ الَّتي تعيشُ في ذلكَ الكَهْفِ منعزِلةً عن الجميع. ثم سأَلَ الصَّبيُّ عمَّتَهُ قَلِقًا: «عمَّتي، أنتِ تعلَمين كلَّ شيءٍ، هلْ صحيحٌ أَنَّ تلكَ المرأةَ هي بابا ياغا؟ وهيَ تأكلُ الأولادَ؟»

أَجابَتْهُ عمَّتُهُ: «هكذا يُخبِرونَ عَنْها يا صغيري، لكِنْ لا تَخَفْ... سأُعطيكَ أشياءَ...». وبَدأَتْ تَنْبُشُ البيتَ كلَّه، إلى أنْ عادَتْ وبيدِها خُرْج. «خُذْ هذا!» قالَتْ لَه العَمَّةُ وأَضافَتْ: «يوجدُ في داخِلِه منديلٌ من حرير، وقِطْعةُ خُبْزٍ وقِطعَةُ لَحْمٍ وإبْريقُ زَيْت. فعندَما تَصِلُ إلى كهفِ بابا ياغا، أعْطِ المنديلَ للخادمَة، وقطعةَ اللَّحمِ للهرّ، والخُبْزَ للكلبِ وادْهَنْ مِفْصَلَةَ البابِ بالزَّيت... فإذا تصرَّفْتَ على هذا النحو، لَنْ يُحْدُثَ لكَ أيُّ مكْروهٍ!»



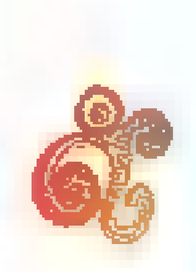
شَكَرَ جوري عَمَّتَه، وتَنَفَّسَ الصُّعداءَ ثمّ عاوَدَ سَيْرَه... وأخيرًا وَصَلَ إلى الكَهْفِ، فتشجَّعَ وأخذَ نَفَسًا عَميقًا و... قرَعَ الباب.

«مَنِ الطارقُ؟» سأَلَتْ عجوزٌ أتَتْ لِتَفْتَحَ البابَ، «ماذا تريدُ؟» أضافَتْ وهيَ تُحدِّقُ به من رأسِهِ إلى أَخْمَصِ قدميهِ. بلعَ جوري ريقَه... وكان صوتُ العجوزِ حادًّا، وأَنْفُها معقوفًا، وعيناها محقونَتَينِ بالدّمِ وتنبُتُ سنٌّ واحدةٌ في فمها. باختصارٍ... كان مَظْهرُها مُخيفًا!

«أُدْعَى جوري» أجابَها الولدُ مرتعبًا من نظراتِها وأَكْمَلَ: «أرسَلني رابّي... ابنُ أخيكِ، لآخُذَ له قِطْعةَ القُماشِ التي نسَجْتِها له!»

«آهِ، طبعًا، يا عزيزي...» قالتِ العجوزُ، محاولةً اتِّخاذَ موقفٍ لَطيفٍ... ولَمَعَتْ عيناها لِشدَّةِ فرحِها. وأضافَتْ: «قبلَ وصولِكَ كنتُ أعملُ على المِغزَلِ، تعالَ، واجلِسْ في هذه الغُرْفَةِ من فضلِك»، فاسحةً المجالَ أمامَه ليدْخلَ. وأكملَتْ: «ما زِلْتُ بحاجةٍ إلى قليلٍ منَ الوقتِ لأُنهيَها... فإذا انتظرْتَني، يحصُلُ ابنُ أخي على ما يريدُ!»





جلَسَ جوري على مقعدٍ وراحَ يَنظرُ إلى ما حولَه... بِرْرْرْرْ! يَعُمُّ الظّلامُ جميعَ أرجاءِ المنزلِ: وَلمحَ خِلالَ تلكَ العتمةِ شيئًا يتحرّكُ! بَقيَ جالِسًا، فماذا عساه أن يفعلَ، وقَدْ سَمِعَ صوتَ العجوزِ في الغُرفَةِ المجاورَةِ تقولُ لخادمتِها: «بسُرْعَةٍ أيّتها الكسولةُ! سَخِّني الماءَ: في الغُرفةِ المقابلةِ طفلٌ طريٌّ طريٌّ، سأغسِلُهُ قبلَ أنْ آكلَهُ!»

قفَزَ جوري عنِ المقعدِ لِشِدَّةِ خوفِه، لكنّه ضَبَطَ أنفاسَهُ. وفكّرَ: «صحيحٌ إذًا! هذهِ هيَ بابا ياغا التي تأكُلُ الأولادَ.» ثم تَذَكّرَ ما قالَتْه لَهُ عمّتُه. فَتَشجّعَ قليلاً.

وعندما رَأى الخادمةَ تَمُرُّ مِنْ أمامِ الغرفَةِ ناداها بِهَمْسٍ: «بِسْتْ! هاي!» كي لا تَسْمَعَهُ السّاحرةُ العجوزُ. فقالَ لها: «أرجوكِ، لا تُطيعي سيِّدَتَكِ... ساعديني أرجوكِ... خُذي، هذا مِنْديلٌ حريريٌّ... أُنْظُري إنّه مطرَّزٌ!»

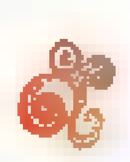
لَمْ يسبِقْ أنْ قدّمَ أحدٌ شيئًا للخادمةِ... تَخَيَّلوا كم كانتْ هذه الهَديّةُ رائعةً بالنّسبةِ إليها. فقالتْ له: «شُكرًا، يا صغيري، سَأسْعى جاهِدةً كي تنطفِئَ النّارُ مِرارًا وتَكرارًا وهكذا لا يسخُنُ الماءُ!»

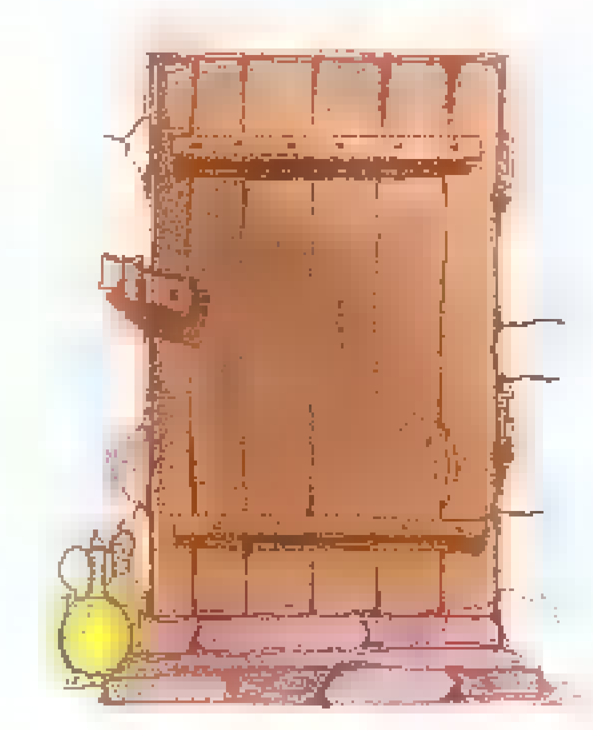
أَحَسَّ جوري بانفراجٍ، وراح يُخَطِّطُ كيفَ سَيَهْرُبُ، وإذا بالسّاحرةِ تَصْرُخُ وتقولُ لِلْهِرِّ: «أَنْتَ، أيُّها الحيوانُ القبيحُ! إذْهَبْ، واخدِشْ عَيْنَي الصّبيِّ النّاعمِ قبلَ أَنْ ينتهيَ أَمْرُهُ بعد قليلٍ في الماءِ الغالي!» وعلى الفورِ انْتَقَلَ الهِرُّ إلى غُرفَةِ الانْتِظارِ، وكانَ مُحدَوْدِبًا، نافِخًا فَرْوَتَه، ويَنْفُثُ بكلِّ قِواه. غيرَ أنَّ جوري لم يَرْتَعِبْ منه، لأنه كانَ يعلَمُ ما عليه أن يَفْعَلَ. فأخرَجَ قطعةَ اللّحمِ منْ حقيبتِه ورماها لَهُ قائلاً: «خذ أيُّها الهرُّ، كُلْ! لكنْ أَرجوكَ لا تَخدِشْني... وساعدْني!». وعندما رَأى الهرُّ قِطعةَ اللّحمِ تَوقّفَ عن النَّفْثِ وبدَلَ أَنْ يَقفِزَ على الصّبيِّ، إرْتَمى على وَجْبَتِهِ الشّهيّة. و... نَيَمْ، نَيَمْ، إلْتَهَمَها بِلَحْظَة!

«شُكرًا يا صديقي» قالَ الهرُّ وهُوَ يموءُ، وأضافَ: «إنّها المرّةُ الأولى التي أَلْتقي فيها شَخْصًا كَريمًا...









أشكُرُكَ، وأنا بِدَوْري سأُقَدِّمُ لكَ شيئًا.» قالَ هذا ثُمَّ قدَّمَ له منديلاً ومِشْطًا، وأكْمَلَ: «أمّا الآنَ، فهيّا، أُهْرُبْ! وإذا لَحِقَتْ بِكَ بابا ياغا إرمِ المنديلَ أرْضًا فيتحوَّلُ إلى بُحَيْرةٍ كبيرةٍ جدًّا! أمّا المِشطُ فيتحوَّلُ إلى غابةٍ كثيفةٍ لا تستَطيعُ السّاحرةُ عبورَها!»

«شكرًا أيُّها الهرُّ اللّطيفُ» قالَ له جوري، وإذْ هَمَّ بالهروبِ سَمِعَ زَمْجَرةً مُرْعِبةً خَلْفَ كَتِفيه، التَفَتَ فإذا كَلْبٌ ضَخْمٌ يهِرُّ محدِّقًا بعينيهِ السّوداوينِ ويَسْتَعِدُّ للقفْزِ عليه! وعلى الفور، أخذَ جوري الرَّغيفَ ورماهُ أمامَه، فلَمْ يَعُدْ يهتمُّ لأمرِ الولَدِ بلْ راحَ يَقْضِمُ بهدوءٍ الهديّةَ المجّانيّة.

بعدما بَلَغَ جوري البابَ، مَسَكَ المِقْبَضَ وسحَبَ ولكِنَّ البابَ لَمْ يَفْتَحْ ! شَدَّ بكُلِّ قُواه، غير أن البابَ كان موصَداً . وهذه المرّةَ أيضًا، لَمْ يَفْقِدِ الأملَ، فأخذَ إبريقَ الزَّيْتِ ودهنَ مِفْصَلَةَ البابِ الصَّدِئةِ حتّى تمكّنَ منَ الخروجِ.

«شكرًا لكِ يا عمتي» قالَ جوري وانطلقَ نحوَ البيتِ بأسرعَ منَ السّهم.

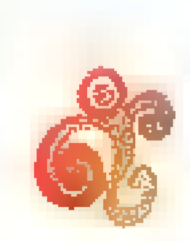
وعندَما لاحَظَتْ بابا ياغا أنّ الصَّبيَّ قد هَرَب، أطلقَتْ صرخَةً مُرْعِبَةً وَحْشيّةً قطَعَتْ بها أنفاسَ حَيواناتِ الغابةِ مِنَ الخَوْف. ثُمّ رَعَدَتْ بصوتِها قائلةً: «يا لَلْخسارةِ، لقد سَخَّنْتُ مياهَ القِدْرِ! إلى أين ذهبَ ذلك الصَّبيُّ القبيحُ الوسِخ؟ إلى أيْن؟... ومساعديَّ، ماذا فعلوا؟ أينامون؟... أيَّتُها الخادمةُ! أيُّها الكلبُ!... والهرّ! تعالَوا إلى هنا... فورًا!»

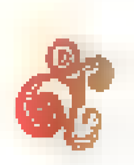
حَضروا أمامها، فسألَتْهُمُ السّاحرةُ حانقةً: «كيفَ تركتُمُ الصَّبيَّ يهرُبُ؟!» فأجابَتِ الخادمة: «خَدَمْتُكِ لِسنينَ طوالٍ فلَم تُقدِّمي لي هديَّةً واحدةً، ولو مَمْسَحة! أما ذاك الصَّبيُّ فأهداني منديلاً منَ الحرير... فبادَلْتُه الجميلَ بمثلِهِ». ثمّ قالَ الهرُّ: «نعَمْ، فلم تكوني يومًا كريمةً معي أيضًا... فقدْ قدَّمَ لي ذلك الولدُ قطعةَ لحمٍ شهيّة، فَرَقَّ قلبي له، وبالتّالي امتَنَعْتُ عَنْ خَدْشِه!». «صحيح!» قال الكلبُ بدورهِ وأضافَ: «لطالَما كنْتُ وفيًّا لكِ، فكُنتِ تكافِئينني دائمًا بركَلاتٍ على ظَهْري، ولَمْ تُعطِني يومًا رغيفًا طريًّا... فبالتّالي لَمْ أستطِعْ مبادلَتَهُ بالشّر...».

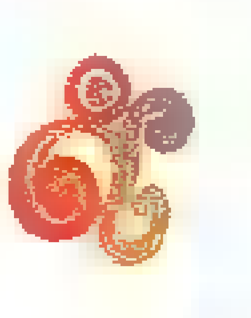
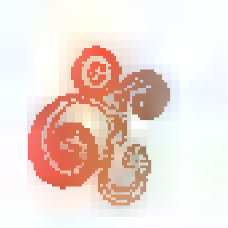
عند ذلك صَرَخَتِ السّاحرةُ بأعلى صوتِها غاضبةً وقالت: «ليسَ لَدَيَّ الوقتُ لأُضيِّعَهُ معَكُمُ الآن، سأُحاسِبُكم عند عودتي!» ورُغْمَ سِنِّها ورجْلِها العظميّةِ انطلقَتْ تُطارِدُ الصَّبيَّ وهيَ تصرخ: «سأنالُ منكَ... لن تَتَمكَّنَ من الفِرار! لن تَفْلِتَ منّي». وكانَ صوتُها الضَّخْمُ وضِحْكَتُها الشِّرّيرَةُ تملأُ الغابة».

راحَ جوري يركضُ ويركضُ، فتمكَّنَ من الخروجِ منَ الغابةِ، وكادَ يصِلُ إلى البيتِ حينَ سمعَ صُراخَ السّاحرةِ يقترِبُ منه. ففكّرَ: «لَنْ أفْلِتَ منها! فتِلكَ العجوزُ الشّمْطاءُ أسْرعُ مِنَ الرّيح، ولكنّني سأَسْتَعْمِلُ هديّةَ الهرِّ!» فأخَذَ المِنديلَ من جيْبِه ورَماهُ خَلْفَ كَتِفَيْهِ و... تحقَّقَ السِّحرُ: فإذا بالمنديلِ يتحوّلُ إلى بُحيرةٍ كبيرةٍ واسعةٍ زرقاء.

إبتهجَ جوري واطمأنَّ فخفَّفَ سُرْعَتَهُ، «يا إلهي لقدْ نجحْتُ! سنرى الآنَ إنْ هي قادرةٌ على السّباحة!»





لكِنْ بابا ياغا كانَتْ تَمْلِكُ الحَلَّ... فهي ساحرةٌ! فعندما وَصَلَتْ إلى ضِفافِ البُحَيْرَة، أَطْلَقَتْ شعوذَةً سِحْرِيَّة، ثم نظَرتْ إلى ما حَوْلَها فشاهَدتْ قطيعَ ثيرانٍ يَرْعَى بِسكونٍ في حقلٍ أخْضَرَ.

لفظَتْ كَلِماتٍ سِحْرِيَّةً وكَرَّرَتْها، فجذَبَتِ القَطيعَ بكامِلِه إلى ضِفَّةِ البُحَيْرة. ونادَتْ ثيرانَ المَنْطِقَةِ كلِّها... فتوافَدتِ الثّيرانُ بالعَشَراتِ والمئاتِ والآلافِ إلى البُحيرةِ أمامَ أعْيُنِ السّاحرة. فقالَتْ لَهُم: «آمُرُكُمْ بأنْ تشربوا ماءَ البُحَيرةِ كُلَّهُ!» وعلى الفورِ بَدَأَتِ الثّيرانُ تَشْرَبُ فأفرغتِ البُحَيْرَةَ مِنَ الماءِ بِلَمْحِ البَصَرِ!

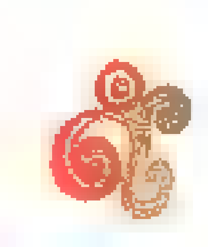
بعد ذلك عادت العجوز تُزَمْجِر، وعاودَتِ الرَّكْضَ بِسُرْعَةٍ جُنونيّة: «لا تَظُنَّ أنَّك سَتَنجو منّي. سأَقْبِضُ عليكَ عاجلاً أم آجلاً أيّها الصَّبيُّ اللّعينُ... سآكُلُكَ!»

وبَيْنَما كانَ جوري جالِسًا على صخرةٍ يَستَريح، سَمِعَ صِياحَها وصُراخَها مجدّدًا، فقال خائبًا: «آهٍ! لا! تلك العجوزُ الشّرّيرةُ نَجَتْ مِنْ شِراكي!» فعاوَدَ الرَّكضَ، وفي بُرْهَةٍ تَذَكَّرَ الهديَّةَ الثّانية. فأَخْرَجَ المِشْطَ من جَيْبِهِ ورَماهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ و... حَدَثَ السِّحرُ: ها هو المِشْطُ يَتحوّلُ إلى غابةٍ كثيفَةٍ، كما شَرَحَ لَهُ الهرُّ.

كانتِ الأشجارُ كثيرةً وكثيفةً وأغصانُها متشابكةً ومتداخِلَة، حاوَلَتْ بابا ياغا عُبورَ الغابَةِ إلاّ أنّها وَجَدَتْ نَفْسَها عالِقَةً في بؤرَةٍ خضراء. حاولَتْ بِكُلِّ قِواها شَقَّ طريقٍ: فَقَطَعَتْ أغصانًا وركَلَتْ جذوعًا وقَضَمَتْ لِحاءَ الشَّجَرِ ولكِن... دونَ جَدْوى! فكانت كُلّما أنجزَتْ طريقًا، ظَهَرَتْ أمامَها أشجارٌ تُعيقُ عليْها المُرور. أَطْلَقَتْ شعوذاتٍ كثيرةً، وفي آخرِ الأمرِ استسلَمَتْ للهَزيمَة، فعادَتْ إلى كَهْفِها مَهْزومةً مغتاظةً... لقد خسِرَتْ وَجْبَتَها المفضّلَة!

وأخيرًا وَصَلَ جوري إلى المنزل، وكانتْ والدَتُه قد عادَت، وما إنْ شاهَدَها الصَّبيُّ حتى ارتمى بين أحضانِها. وصرَخَ مُتَنَهِّدًا: «أُمّي، أُمّي، أرسَلَني رابّي إلى عمّتِه وقد حَصَلَ أمرٌ رهيبٌ...» وروَى جوري لأُمِّهِ المخدوعَةِ عن طَنْجَرَةِ المياه وعن الهِرِّ وعنِ الكَلْبِ وعنِ البُحيرةِ وعن الغابةِ الكثيفة... فذُهِلَتِ المرأة، وأَدْرَكَتْ عندَها، أنها تزوجَتْ رَجُلاً شرّيرًا. فذهَبَتْ على الفورِ إلى حاكِمِ البَلْدَةِ لِيَطْرُدَ ذلكَ الرَّجُلَ الحقيرَ من دارِها.

وهكذا عاشَ جوري ووالدتُه بطُمَأنينةٍ وبفرحٍ في بيتِهِما المتواضِع، وانتقلَتْ عمّتُهُ، الطَّيِّبَةُ الحكيمةُ لِلْعَيشِ معهُما. ومنذُ ذلكَ اليوم لم يخاطِرْ جوري أبدًا بالذَّهابِ إلى عُمقِ الغابةِ وَحدَه!

بازيليا والمَلِكُ الأبيض



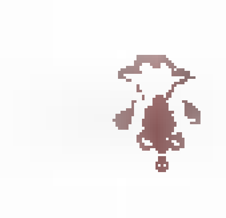
منذُ زمنٍ بعيدٍ، عاشَ فَلاّحٌ طيّبُ القَلْبِ وإنّما سيّءُ الحَظِّ: تُوُفِّيَتْ زوجتُهُ تارِكَةً له ابنةً وحيدة، يَسْكُنُ وإيّاها في كَهْفٍ يقعُ على حُدودِ الغابة. قرَّرَ الفلاّحُ ذاتَ يومٍ الزّواجَ منْ أرمَلَةٍ لها ابنتانِ يقاربُ عُمْرُهما عُمْرَ ابنتِه بازيليا. «سَنَعيشُ معًا فرِحين» قالَ الفلاّح في نَفْسِه:«وسَتَكْبُرُ بناتُنا وينمَوْنَ معًا كأنَّهُنَّ أخوات».

لَكِنْ، ويا لَلأسَف، كانَ الرَّجُلُ الطّيِّبُ مخطِئًا! ففي الواقعِ، كانتِ الأَرمَلَةُ امرأةً شِرّيرَة. فسُرعانَ ما بَدأَتْ تعذِّبُ ربيبَتها المِسكينةَ بشَتّى الوسائِل. فتَأْمُرُها:«بازيليا، إفعلي هذا!... بازيليا، إفعلي ذاك!... بازيليا، إذهبي إلى هناك!... ثم إلى هنالك!...». باختصارٍ لم يكُنْ يُسمَعُ في ذلك الكَهْفِ الصّغيرِ وطَوالَ النّهارِ سوى تلك العِبارات. فكانَتِ الطِّفلةُ المسكينةُ مُرْغَمَةً على العمل. فكانتْ تَنْهضُ عندَ الفَجْر، تُنَظِّفُ الإصطَبْلَ، تَسقي الماشيَة، وتَخرُجُ إلى الغابَةِ لتجمعَ الحَطَبَ... وكانتْ تقومُ بأعمالٍ مرهِقَةٍ وشاقّةٍ بالنِّسبَةِ إلى فتاةٍ صغيرة.

وكأنَّ هذا لا يكفي، فكانَتْ أُخيَّتاها مُرتاحَتَين وهادِئتَين، تَنْهضانِ من النَّوْمِ عندَ الظُّهْر، تُمضيانِ النّهارَ كُلَّهُ دونَ الإتيانِ بأيّةِ حَرَكة.

تألَّمَ الفلاّحُ كثيرًا لهذه الحالة، فكان يفكِّرُ: «إبنتي المسكينةَ، أَرَدْتُ أن يكونَ لكِ أمٌّ جديدة، وأخواتٌ تلعبينَ معهُنَّ وتشاركينَهنَّ مشاعِرَهُنّ، لكنَّني، في الحقيقةِ، حوّلْتُكِ إلى خادِمة!» وكانَ الرّجلُ خجولاً ومسالِمًا، إذ لم يستطِعْ يومًا الدّفاعَ عن ابنتِه، ظانًا أنّه لو عارضَ زوجَتَه لثارَ غَضَبُها وحلّتْ نهايةُ العالَم.

«عاجلاً أم آجلاً ستتبدَّلُ الأمور» حاوَلَ الفلاّحُ إقناعَ نَفسِهِ وأضافَ: «ستُدرِكُ زوجَتي في آخرِ المطافِ أنَّ بازيليا هي أفضلُ فتاةٍ في العالَم، فتكُفُّ عن تعذيبها». كذلكَ بازيليا لَمْ تَجْرُؤْ على التَّمَرُّدِ،

لأنها لا تَشاءُ أنْ تسبِّبَ الكَدَرَ والغَمَّ لِوالدِها، فكانَتْ تَتَقَبَّلُ كلَّ الإزعاجِ دونَ أن تَتَذَمَّر. ولَكِنّها كانتْ تُعَبِّرُ عَنْ تِلْكَ المشاعرِ لذاتِها، حينَ تكونُ بمُفْرَدِها في الغابةِ تَجمَعُ الحطَب. فكانتْ تُرَدِّدُ: «لماذا تكرَهُني تلكَ المرأةُ يا تُرى؟» وكانتْ تصرُخُ والدَّمعُ في عينيها: «أعملُ طولَ النَّهار، وهي تَشْتُمُني... وفي بعضِ الأَحيانِ تَضْرِبُني! حتى أنّها لا تقدِّمُ لِيَ الطّعامَ لآكُلَ، إلاّ إذا راقَ لها أن تُعْطِيَني قِطعةً من الخُبزِ وبصلةً صغيرةً! في حين أن تَيْنِكَ الفتاتينِ تنامانِ كلَّ النّهارِ وتتناولانِ طعامًا لذيذًا! هذا ليسَ عدلاً... لا، ليسَ عدلاً!» وكانتْ تبكي وتذْرِفُ الدُّموعَ... وبَدَتِ كأنَّ الأشجارَ الّتي تُحرِّكُ الرِّيحُ أوراقَها تردِّدُ كلماتِ الفتاة: «ليس عَدْلاً... لا، ليس عدلاً!»

أمّا أخيَتاها، إضافةً إلى كونِهما كسولَتين، فكانَتا قبيحَتينِ وشرّيرتينِ تمامًا كوالدتِهما! وكانتا تَحْسُدانِ بازيليا، الّتي رُغْمَ أنها تقومُ بجميعِ الأعمال، كان وجهُها يَشِعُّ إشراقًا... نَعَمْ، إنّها رائعةُ الجمال.

بَدأَتِ الأَرْمَلَةُ تَقْلَقُ: «إنَّ الفتياتِ كَبُرْنَ، وبَعدَ قليلٍ سيَبْلُغْنَ سِنَّ الزَّواج. وتلكَ الرَّبيبةُ وَوَجهُها الملائكيّ، ستتزوَّجُ شابًّا قويًّا... وربَّما غنيًّا! أمّا بَناتي... فسَتَبْقيانِ عانِسَتَيْن! وهذا أمرٌ يُحزِنُني!» فرُغمَ حُبِّها لهما، كانت تُدْرِكُ تمامًا وبتحسّرٍ فظيعٍ مدى قباحتِهما وغلاظتِهما وادّعائِهما. لذلك راحَتْ تُفَكِّرُ بأن مصلَحةَ فتاتَيها تَقضي بإخفاءِ بازيليا عنِ الوجود، ولكن... كيف؟

وكُلّما مَضتِ السَّنوات، كَبُرَتِ الفتياتُ، وازدادَتْ فتاتا الأرملةِ شرًّا وغدَتا لا تُطاقان، في حين أنّ بازيليا، رُغمَ تعبِها وإرهاقِها، كانَتْ تزدادُ جمالاً ولطافةً وتهذيبًا.

فعِنْدَما كانتْ تذهبُ العائلةُ إلى ساحةِ القريةِ، لم يَكُنْ ينظرُ الشَّبابُ سوى إلى بازيليا الجميلةِ ولَمْ ينظروا يومًا إلى الفتاتَيْنِ ولو نظرةً عابرةً... لذلك قرّرَتِ الأرملةُ أنّه حانَ الوقتُ لتَتَخلّصَ مِنَ الفتاة، فقالَتْ في ذاتِها: «لم أَعُدْ أحتَمِلُ، لا أَستطيعُ الانتظار». وبما أنّ أفكارَها شَيْطانيَّة، أَعَدَّتْ مخطَّطًا يَخْدُمُ رَغْبَتَها.

فقَالَتْ لِزوجِها: «البارحة، بينما كُنْتَ نائمًا أَتى رجلٌ من قِبَلِ الملكِ الأبيضِ الذي يعيشُ في الغابة.»

«الملكُ الأبيضُ؟» سأَلَها زوجُها مندهِشًا.

«نَعَمْ، الملكُ الأبيضُ، سيِّدُ الصَّقيع»، أجابَتْ

المرأةُ الماكِرة، وأضافتْ «سيِّدُ الثَّلجِ، والجليدِ والرِّيحِ القارسةِ... إنّه غنيٌّ جدًّا... كالقَيْصَرِ! وقدْ قالَ ذلكَ الرَّجلُ أنَّ سيِّدَه الملِكَ قَدْ شاهَدَ بازيليا في الغابَةِ تَجْمَعُ الحَطَبَ، فَسُحِرَ بجمالِها، فَعَشِقَها... وهُوَ يريدُ الزَّواجَ مِنها! فَطَلَبَ أنْ تصطحبَها غدًا صباحًا إلى الغابة، وأنْ تترُكَها هناكَ وتعودَ على الفورِ... لأنّ أحدًا لا يستطيعُ مُشاهدةَ وَجْهِ مَلِكِ الجليدِ سوى زوجتِه!»

صَدَّقَ الفلاّحُ البَسيطُ كلامَ زوجتِه... وكذلِكَ بازيليا لم تَشُكَّ لَحْظَةً في صِدْقِ رابّتِها، رُغْمَ معاملتِها السَّيِّئَةِ لها. «وَأخيرًا!» هَتَفَتْ «وأخيرًا سأتركُ هذا المنزلَ حيثُ أُعامَلُ كخادمة. ملِكٌ! ملِكٌ!... ويريدُ الزَّواجَ بي... أنا؟!» وراحَتْ تَضْحَكُ من صميمِ قلبِها، حتى أن فَرْحَتَها حملَتْها إلى سابعِ سماء.

رَتَّبَتْ بازيليا بعضَ الأغراضِ ووضَعَتْها في صُندوقٍ خَشَبيٍّ صغيرٍ وخَلَدَتْ إلى النَّوم... وقلبُها يَخْفُقُ بِقُوَّةٍ لِشِدَّةِ تأَثُّرِها بالخبرِ السَّار.

في صباحِ اليومِ التّالي، نَهضَتْ باكرًا. وكان يومًا من أيّامِ كانونَ الثّاني. فالبَرْدُ شديدٌ وقارسٌ ما جعَلَ بازيليا تَتَرَدَّدُ بالخروجِ، لكنَّ قَدَرَها الجديدَ الذي ينتظرُها أعادَ إليها الشَّجاعة.

فارْتَدَتْ ثيابَها وركِبَتْ المِزلاجَ مع والدِها ورحلا مُسْرِعَيْنِ نحوَ الغابة. كان الثَّلجُ يُغطِّي البريَّةَ بكامِلِها، والرِّياحُ تَعْصِفُ من كلِّ حدْبٍ وصَوْبٍ، فتَقْطَعُ الأنفاسَ...

«بِرْرْرْ! يا لَهذا الصَّقيع!» راحتِ الفتاة تُفَكِّرُ في ذاتِها ثم تَمَنَّت: «آمُلُ ألاّ يَجْعَلَني الملِكُ أنتظِرُ كثيرًا وإلاّ تَحَوَّلْتُ إلى قِطْعَةِ جليد!».

وصلا إلى المكانِ المَقْصودِ، فأَنْزَلَ الفلاّحُ الفتاةَ عند جِذْعِ صَنَوْبَرَةٍ عاليةٍ وَوضعَ بجانِبِها الصُّندوقَ الخَشَبيَّ وقالَ لها: «وَداعًا يا ابنتي!» وعانَقَها وشدَّها إلى صدرِه، ثم أضافَ: «إسعَدي يا ابنتي، وسامحيني لأنّني لَمْ أَتَصرَّفْ جيّدًا تُجاهَك، تَذَكَّريني، وأَطلِعيني دومًا على أخبارِك، أرجوكِ!» ثم ركِبَ المِزْلاجَ وكما طُلِبَ مِنهُ، تَرَكَ بازيليا تنتظِرُ المَلِكَ.

بَقِيَتِ الفتاةُ وحدَها، جالِسَةً على صُندوقِها الخَشبيِّ... ومضطَرِبَةً تتساءَلُ: «كيفَ سيكونُ زوجي يا تُرى؟ لطيفًا؟... صادقًا؟... جميلاً؟... مَلِكًا!...» فهي ما زالتْ لا تصدِّقُ. وبينما كانَتِ الأفكارُ تجولُ في رأسِها... كانَتْ ترتَجِفُ من شِدَّةِ البَرْدِ والأشجارُ من حولِها تتجمَّد، والأَغصانُ تَتغطّى بالبِلَّورِ النّاصعِ البَياض، والثُّلَيْجاتُ تَتَدَلّى هنا وهناك... فالبياضُ الباهرُ يُغطّي وجهَ الأَرْض، والصَّمْتُ المَهيبُ يُخَيِّمُ على المكان، يخرُقُهُ من حينٍ إلى آخرَ نَعيبُ الرِّياح.

وكان، كلّما مَضى الوقتُ، أَحسَّتْ بالصَّقيعِ ينخُرُ عِظامَها، والرِّياحُ تَسْفَحُ الدموعَ من عَيْنَيْها، فتتجمَّدُ الدُّموعُ على خَدَّيها. باتَتْ لا تُحِسُّ برِجْلَيْها ويَدَيْها وأنفِها... وبدأَتْ فرحتُها تضمَحِلّ، وقُواها تَنْهار... حتى أنّها فقَدَتِ الأمَلَ!... وفَجْأَةً، يَرِنُّ صوتٌ شجيٌّ على مِسمَعَيْها قائلاً: «ماذا تفعلينَ هنا بمُفْرَدِك، أيّتها الصَّبِيَّةُ الشّابّة؟» اِلتفَتَتْ بازيليا و... شاهَدَتْ أمامَها شابًّا يرتدي ثوبًا مُشرقًا مِنَ الحريرِ الأبيضِ ورأْسُهُ مكلَّلٌ بالثَّلجِ المزيَّنِ باللُّؤلؤِ البرّاق... إنّه فاتِنُ الجمال! ذُهِلَتِ الفتاةُ، وامتلأَ قلبُها فَرَحًا لا يوصَف. فَلَمْ تَعُدْ تشعرُ بالبردِ! لا بَلْ بدأَتْ تَشْعُرُ بالدِّفءِ حَوْلَها.



«إنَّني أنتظرُكَ، أيُّها الملكُ الأبيضُ»، أجابَتِ الفتاةُ، «لقد أرْسَلْتَ بطَلَبي فأتيتُ على الفورِ لأتَعرَّفَ إليك... كما وأنّكَ تَرْغَبُ في الزَّواجِ بي!...»

نَظَرَ إلَيْها الشّابُّ بإعجابٍ وحُبٍّ كبيرين. وبَدا لِلْفتاةِ أنّها تَرى نارًا داخِلَ عينَيْه الملوَّنَتين بلَوْنِ الجَليد. قالَ لها الملِكُ الأبيض: «أَخْبَرَني عنكِ البارحة قاقُمٌ سَمِعَكِ تَنْدُبينَ حظَّكِ. لَنْ أترُكَكِ هنا... فرابَّتُكِ أرادَتْ دفعَكِ إلى هنا لتَخْدَعَكِ ولِتَتَخَلّصَ مِنْكِ، فتموتينَ من شِدَّةِ البَرْد... أمّا الآن فبالنسبةِ إليّ، فأنا مسرورٌ لأنّكِ أتيتِ... فالقاقُمُ، صديقي، يَعْرِفُ كلَّ شيءٍ عنكِ، لَقَدْ أخبرَني قِصَّتَكِ. أنتِ لطيفةٌ وطيِّبَةُ القلبِ... فرابَّتُكِ لا تعلمُ أنّها مِنْ جرّاءِ مخطَّطِها أسدَتْ إليكِ وإليَّ خِدمةً كبيرة! سَأتزوَّجُكِ وأجْعَلُكِ مَلِكَةً، مَلَكةَ عالَمِ الثّلج! أمّا الآنَ فاخلُدي إلى النّوم، وفي هذه الأثناءِ سَيأتي أُخوتي أمراءُ الثّلجِ ويأْخذونَكِ على عَرَبَةٍ بيضاءَ ويقودونَكِ إلى قصري!»

فَشَعَرَتْ بازيليا بتَعبٍ يَحِلُّ عليها، فأَغمضَتْ عينيها وغَفَتْ. وعندما استفاقَتْ، نَظَرَتْ إلى ما حولَها: فشاهَدتْ قاعةً كبيرةً مُضيئَةً، تشعُّ بالبياض... بَلاطُ الأرضِ من الرُّخامِ الأبيض، والفرشُ أبيضُ بلونِ الثّلجِ والسّتائرُ بيضاءُ، والسَّجّادُ والوسادات مصنوعةٌ من القُماشِ الدِّمَقْسيِّ الثّمينِ ومطرَّزَةٌ بخيطٍ فِضّي، والعَرْشُ الذي تجلِسُ عليه لونُه أبيضُ فاتِنٌ... وهي تَرْتَدي ثوبًا حريريًّا أبيضَ ناصعًا، مزيَّنًا باللآلئِ والماس. وبجانبِها الشّابُّ الرّائِعُ الجمالِ الذي التَقَتْهُ في الغابة.

قال لَها الملِكُ والبسمةُ تملأُ ثغرَهُ: «أهلاً بِكِ في عالمي فأنتِ الآنَ زوجتي، وكلُّ ما تُشاهِدينَ هو لكِ... منذ زمنٍ وحاشِيتي تريدُني أن أتزوّجَ، وها أنتِ الآنَ زوجتي وستكونينَ مَلِكةً عادِلةً وحكيمةً، لأنّكِ عَرَفْتِ معنى التَّعَبِ والألَمِ.»

وعاشَتْ بازيليا مسرورةً سعيدةً في مَمْلكةِ الثّلج. وكانَتْ تستَضيفُ أباها من حينٍ إلى آخرَ.
أما رابَّتُها وأُخيّتاها فقد جُنِنَّ من الغَضَبِ فهرَبْنَ بعيدًا بعيدًا ولم يُعرَفْ شيءٌ عنهنَّ مُنْذُ ذلِكَ الحين.






الثِّمارُ الخارِقَة

مُنْذُ سَنَواتٍ غابِرةٍ، وفي قَرْيةٍ بعيدةٍ، كانَ يعيشُ تاجرٌ غنيٌّ تُوُفِّيَتْ زوجتُه فَبَقِيَ مع بناتِه الثّلاث. اِضْطُرَّ ذاتَ يومٍ إلى التَّوجّهِ إلى العمَلِ في مدينةٍ مجاوِرَة، يُقالُ أنّ فيها محالَّ كبيرةً يَجِدُ فيها المَرْءُ كلَّ ما يرغبُ فيهِ من أبسطِ الأمورِ إلى أغربِها. وقبلَ رحيلِهِ دعَا بناتِهِ الثّلاثَ وقالَ لَهُنَّ: «أوَدُّ أنْ أَجْلُبَ لِكُلِّ واحدةٍ منكُنَّ هَدِيّةً خاصّةً من هذه المدينة.» ثم توجّهَ بالسُّؤالِ إلى الفتاةِ الكُبْرى وقالَ: «ماذا تُريدينَ كَهَدِيَّة؟» أجابَتْهُ الصّبيّةُ: «آهِ، يا أبي الحبيبَ، أرْغَبُ في ثوبٍ ذَهَبيٍّ!» ثم سَألَ ابنتَهُ الثّانية: «وأنتِ يا عزيزَتي؟» أجابَتْهُ الفتاةُ: «أبي، حبيبي، إشترِ لي ثوبًا فِضّيًّا!» وأخيرًا سألَ التّاجرُ الفتاةَ الصّغرى: «وأنتِ يا صغيرتي، أترغبينَ في ثوبٍ أيضًا؟» فأجابتْهُ الصّبيّةُ: «آهِ، لا، يا أبي، لقد رأيتُ حُلُمًا غريبًا ليلةَ أمسِ... أَعْلَمُ أنّ الأمرَ سيبدو لكَ غريبًا... وإنّما أرغَبُ في الثّمارِ التي شاهدتُها في حُلُمي: عنقودُ عِنَبٍ يَسْتَطيعُ الكلام، وتفّاحةٌ تبتَسِمُ ومِشْمِشَةٌ ترِنُّ!»

فوجِئَ التّاجرُ بهذا الطّلبِ العجيب، وبما أنّ تلكَ المدينةَ شهيرةٌ بالبِضاعَةِ الخياليّةِ والمُستحيلة، لذا لم يتَلَفَّظْ بأيِّ تَعْليق. ثم قالَ: «حَسَنًا، يا صغيراتي، سأسْعى جاهدًا في إيجادِ ما ترغَبْنَ!» وانطلقَ بعربَتِهِ باتِّجاهِ المدينة.

وجَدَ التّاجرُ بسُهولةِ الثّوبَينِ الذّهبيَّ والفضّيَّ، لكنَّ تلكَ الثّمارَ الغريبةَ كانَ من الصّعْبِ إيجادُها! دخلَ جميعَ المحالِّ وراحَ يسألُ الباعةَ عن تلكَ الثّمار، فكانوا يَهُزّونَ رُؤوسَهم قائلينَ: «لم نسمعْ قطُّ بهذا النّوعِ منَ الثّمار!»

اِقتنَعَ التّاجرُ بأنّ تلكَ الثّمارَ ليسَتْ موجودةً وبالأخصّ في تلكَ المدينةِ فعادَ إلى المنزلِ حَزينًا.

وأثناءَ عودَتِه راحَ يفكّرُ: «اِبنتي المِسْكينَةَ، سيَخيبُ ظنُّكِ، آسَفُ، ولكن... ما طلبتِهِ غيرُ موجود!»





وبينما كانَ غارقًا في أفكارِه، لم ينتبِهْ إلى مُسْتَنْقعِ الوَحْلِ في وَسَطِ الطَّريقِ، وسَقَطتِ العَرَبةُ... وبَقِيَتْ غارقةً تتخبَّطُ بالوحْلِ.

توقَّفَتْ عرباتٌ كثيرة، ونزَلَ منها الرُّكّابُ لمساعدَةِ الرَّجلِ المسكين. فحاولوا أنْ يدْفعوا به ويسحَبوهُ ولكنْ دونَ جَدْوى... فلمْ تتحرّكِ العَرَبةُ سنتيمترًا واحدًا. عندئذٍ أيقنَ الرَّجُلُ بأنَّهُ سيَقْضي اللّيلةَ وسطَ الوَحْلِ، خارجَ المنزل. وإذا بحيوانٍ ضخمٍ يمرُّ فجأةً بين الحَشْدِ... ثورٌ! نَعَمْ، إنه ثورٌ وَسِخٌ ملَطَّخٌ بالوَحْلِ... تقدَّمَ وقالَ للتّاجِرِ بنَبْرةٍ حاسِمَة: «أرى أنّكَ في مأزقٍ كبيرٍ...» فدُهِشَ الجميعُ لغرابةِ الأمْرِ. وأضافَ: «حسنًا، أيُّها التّاجر، أستطيعُ المساعدةَ... فأنا قويٌّ جدًّا وأقوى منهُم جميعًا. وبالتّالي أستطيعُ سَحْبَ عربَتِكَ منَ الوَحلِ، ولكِنْ... شرْطَ أن تُزوِّجَني ابنتَكَ الصُّغرى، ما رَأيُكَ؟!» رَفَضَ التّاجِرُ هذا الاقتراحَ رفضًا قاطعًا... ثم فكَّرَ مليًّا: «إذا كانَ الثّورُ يقولُ الحقيقةَ فيما يتعلّقُ بقُوَّتِه، فمِنَ الأفْضلِ أنْ أقبلَ مُساعَدَتَه، على أنْ أترُكَ بناتي وحدَهُنّ هذهِ اللّيلةَ! طبْعًا، طلَبُهُ غالٍ، ويتَطَلّبُ تضحيةً كبيرة...» وتابعَ يُفكِّرُ: «سَنَرى إذا كانَ قادرًا على سَحْبِ العَرَبَة... ثم إنّه لن يجرُؤَ على الاقترابِ من منزلي، وإذا فَعَلَ... سأتخلَّصُ منه بأيَّةِ وسيلة! فهو وإنْ تَكَلَّمَ يَظَلُّ حيوانًا ضعيفًا...» فتراجَعَ عن قرارِه وقَبِلَ باقتراحِ الثَّوْر. فَدَفَعَ هذا الأخيرُ بالعربَةِ فخرجَتْ من مُسْتنقعِ الوَحْلِ.

«سأزورُكَ يومًا!» ذَكَّرَ الثَّورُ التّاجرَ وهو يَبْتَعِدُ، «وسأحصَلُ على الشّرط!»

كانتِ الفَتَياتُ بانتظارِ والدِهِنَّ على عَتَبةِ الباب، وكلُّهُنّ متحمِّساتٌ لأخذِ الهدايا. فحصَلَتِ الأولى والثّانيةُ على ما طَلَبَتا، أما الثّالثةُ فبَقِيَتْ فارغَةَ اليدين. فقالَ لها والدُها: «آسَفُ يا صغيرتي، لأنّني لم أجِدْ تلكَ الثِّمارَ الغريبةَ التي طلَبْتِها؟»

«لا بأسَ يا أبي»، أجابَتِ الفتاةُ وبدا الحُزنُ على وجهِها وكادَتْ تنفجرُ باكيةً

بعدَ مَضيِّ أيّام، وصَلَ الثَّورُ أمامَ مَنزلِ التّاجرِ جارًّا وراءَه عَرَبةً ضخْمةً وَسِخةً وقال مزمجراً: «أنتَ! أيّها التّاجر! حانَ الوقْتُ لِتفيَ دَيْنَك، أتَسْمَعُني؟» كانتِ الفتياتُ يَسْتمِعْنَ إلى الحديثِ ويُراقِبْنَ كلَّ شيءٍ منَ الشُّرفة. «ماذا عساهُ يريدُ منْ أبي ذَلكَ الحيوانُ؟»، تساءَلَتِ الفتاةُ الكبرى بصوتٍ عالٍ، «إنه ثَوْرٌ يتكلَّمُ، يا لَلْغرابة!»

نادى التّاجرُ خادمَةً منْ خادماتِه وألْبَسَها ثوبًا من أثوابِ ابنتِه، وأمَرَ خادمَينِ أن يَصطَحِباها إلى الخارج. وقالَ في ذاتِه: «ذلكَ الثّورُ الأحمقُ، سيظُنُّ أنّها ابنتي الصَّغيرةُ وبالتّالي يطْمئِنُّ بالي على صغيرتي!» لكنَّ الثورَ لم يكُنْ أحمقَ كما تصوّرَ الأبُ، فصَرَخَ بوجهِهِ قائِلاً: «قُلْتُ لكَ إنني أريدُ ابنتَكَ الصُّغرى، أَلَيْسَ كذلكَ؟ فالّتي أرْسَلْتَها ليستِ ابنتَكَ!»

انْتَفَضَتِ ابنةُ التّاجرِ الثَّالثةُ قائلة «أنا؟! يريدُني أنا، يا إلهي!، آهِ، لا! مستحيلٌ، أبي، كيف يُمْكِنُ ذلك؟»

قال التّاجرُ للصَّبيَّةِ: «أُعْذُريني يا ابْنتي، كان الأمرُ كذلك... فروى لها القِصَّةَ بالتّفصيل. ثم أَلْبَسَها ثوبًا ممزَّقًا وسخًا، وبعثرَ شَعْرَها، محاولاً بذلك جَعْلَها قبيحة، لَعَلَّ الثَّورَ لا يجدُها جذّابة فيُعيدُها إليه.

كان الرّجلُ مخطِئًا: إذ أَمْسَكَ الثَّورُ بالفتاةِ ورماها في عَرَبَتِهِ القذرةِ وأخذَها معه، فبدا مسرورًا وراح يغنّي، بينما راحتِ الفتاةُ تَبْكي وتنوح. لكنَّ الثّورَ لم يَكْتَرِثْ للأَمْرِ. تابع سَيْرَهُ إلى أَنْ وصلَ إلى الحَظيرة. وهناك أنزَلَ الفَتاةَ المسكينةَ وهي غارقةٌ في البكاءِ... وقالَ لها: «ها قَدْ وصلْنا إلى المنزِل». ثمّ أَشار إلى مَعْلَفٍ مليءٍ بخَبيصةٍ منَ الذُّرة، وأضافَ: «هذا لكِ!» فانفجَرتِ الفتاةُ باكيةً من جديد. عندئذٍ قالَ لها مشيرًا إلى مُضْطَجعٍ من القَشّ: «حسنًا، حسنًا! إنسَي الأمرَ! ولا تَقْلَقي! أمّا الآنَ فتمدَّدي هنا واستريحي... وغدًا صباحًا ستُصْبِحُ الأمورُ مختلفةً!»

كانتِ الفتاةُ مُرْهَقَةً من شِدّةِ البُكاء، فرُغمَ القَذارةِ التي تسيطرُ على المكان غَفَتْ بلَحْظة!

إستفاقَتِ الفتاةُ في اليومِ التّالي، مُنْذَهِلَةً وحائرةً بأَمْرِها. فنظرَتْ ما حولَها فبدا كلُّ شيءٍ مختلفًا... فلَمْ تصدِّقْ عينيها: إذ لم تَعُدْ مُمَدَّدةً على مُضْطجَعٍ قَذِرٍ وغيرِ مريح، بل هي الآنَ على سريرٍ طريٍّ تنتصِبُ فوقَهُ مِظلّةٌ كبيرةٌ وتلُفُّهُ شراشِفُ من الكَتّانِ النّاصعِ البياضِ وتغطّيهِ شراشفُ حريريّة! كما وأنّها لم تَعُدْ في حظيرةٍ مُظْلِمَةٍ ونَتِنَة، بل في غُرفةِ نومٍ مُشِعَّةٍ ومجهّزَةٍ بالمفروشاتِ الثّمينة!

«ماذا جرى... أين أنا؟!» وإذا بالأفكارِ الغريبةِ تُراوِدُها، إنفتَحَ البابُ، ودخلَ جَمْعٌ من النِّساءِ يَحْمِلْنَ ملابسَ بيضاءَ ناعمَةً وأنيقة. ساعَدَتْها تلكَ النِّساءُ في ارتداءِ تِلْكَ الملابسِ ثم اصْطَحَبْنَها إلى قاعةٍ تُغَطّي المرايا جُدْرانَها وتَتَدلّى من سَقْفِها ثُريّاتُ البِلَّور، وحيثُ كان بانتظارِها... شابٌّ رائعُ الجمال!

سأَلَتْه الفتاةُ: «مَنْ أنتَ؟! وماذا جرى؟!»

أجابَ الشّابُّ: «أنا مَلِكُ أرضِ الأزهار، وأنتِ فتاةٌ فاتِنَة، أَتيتُ بكِ إلى هنا لأَنّني أرغبُ في الزّواجِ منكِ!»

إرتَبَكتِ الصَّبيَّةُ، وتمتمَتْ كلماتٍ مُبْهَمَة، واتَّقَدَتْ وجْنَتاها احمرارًا. وراحتْ تفكِّرُ في ذاتِها: «ماذا يجري يا تُرى! إنه أجملُ وألطفُ شابٍّ عَرَفْتُهُ! لكنَّ الثَّور؟!... والحظيرة؟!... آهِ، إني لا أفهمُ شيئًا!»





مدَّ الملِكُ الشّابُّ يدَهُ للفتاةِ واصطَحبَها إلى داخلِ القاعة، وجلسا إلى مائدةٍ مليئةٍ بالأطباقِ الشّهيَّة؛ لكنَّ الصّبيّةَ، ظلَّتْ مشوَّشَةً، لم تستطِعِ ابتلاعَ لُقْمَةٍ واحدةٍ. ثم إن... جمالَ ذاك الشّابِّ خطفَ أنظارَها وعقَدَ لِسانَها!

سألَها الملِكُ بلُطفٍ: «ألا تأكُلين؟ كثُرَتِ المفاجآتُ طبعاً، أليسَ كذلك؟ حسنًا، تعالَي معي، سأُريكِ مَملَكتي!»

خرجَ الشّابّانِ من القَصرِ، وكانا كُلَّما الْتَقيا أحدَ أفرادِ الحاشيةِ يَنْحني أمامَهما... فَتَنَزَّها في الحديقةِ بين آلافِ الأزهارِ العَطِرةِ، إلى أن وصلا بالقربِ من كَرْمَة. فجأةً، سَمِعَتِ الفتاةُ صوتًا عَذْبًا يقولُ: «إقطفينا، اقطعينا أيَّتها الفتاةُ الفاتِنةُ، نحن هنا لكِ، هيّا، اقطفينا.» التفتَتِ الفتاةُ ونَظرَتْ من حَوْلَها... نَعَمْ، الصّوتُ يخرجُ من الكَرْمة... فعناقيدُ العِنَبِ تَتكَلَّمُ! كما في الحُلم. وقبلَ أن تستعيدَ أنفاسَها من المفاجأة، لاحظَتْ أنَّ التُّفّاحَ المتدلّيَ من الشَّجَرةِ يلمعُ ويَبْتَسِمُ! وتابعتِ السَّيْرَ، ودخلَتْ بين أشجارِ الفاكِهَةِ، فإذا بالمِشْمِشِ يَرِنُّ لَدى مرورِها بجانبِه.

«لا شكَّ أنني أحْلُم» قالتِ الفتاةُ، فارِكةً عينيها، مشكِّكةً، «لا بُدَّ أنَّه حُلُمٌ... أوَّلاً ذاك الثّورُ المرْعِبُ، ثم هذا الملِكُ الجميلُ، وأخيرًا الثّمارُ التي رَغِبْتُ فيها!»

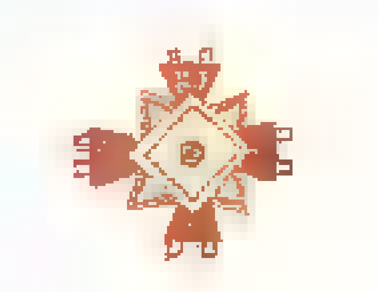
قاطعَ الملِكُ حَبْلَ أفكارِها وسألَها: «أأنْتِ مندهِلَة؟ أنظري، أستطيعُ أن أمنحَكِ كلَّ ما ترغبينَ فيه، فإضافةً إلى تلكَ الثّمارِ الخارقةِ السّحريَّة، أُريدُ أن أمْنَحَكِ قلبي، وحياتي... فمنذُ زَمَنٍ بعيدٍ حَوَّلَني ساحرٌ شِريرٌ غدّارٌ إلى ثَورٍ وقالَ لي إنّني سأبقى ثورًا إذا لم تَطْلُبْ صبيَّةٌ ثمارًا من كنزي الوفير: العِنبَ الناطقَ والتّفّاحَ المُبْتَسِمَ والمِشْمِشَ الرّنّانَ... ذاك الصّباحَ سمِعَكِ صديقي الشّحرورُ تطلُبينَ تلكَ الثّمارَ من والدِك، فأخبَرَني بذلك. فتعقَّبْتُ والدَك وأوقعتُهُ في ذلك المُستَنقَعِ لأَحْصُلَ عليك... آسَفُ جدًّا، لأنّني أخفتُكِ. وأطلبُ مِنكِ أن تتزوجيني، أنتِ أنقَذْتِ حياتي ومُقابلَ ذلكَ أُقدِّمُ لكِ حياتي!»

إحمرَّتْ وجنتا الفتاةِ خَجلاً، وأجابَت: «أنتَ لطيفٌ للغاية، أيُّها الملِكُ الشّابُّ وأرى من خلالِ عينيكَ أنّكَ طيّبُ القلبِ... لذا سأقبلُ بكَ زوجًا!»



احتفلا في اليومِ عينِه بزواجِهما وأقاما احتفالاتٍ عامِرةً. وعاشَتِ الفتاةُ سعيدةً بجانبِ زوجِها الفاتِنِ ومع والدِها وشقيقَتيها. وكانتْ تخرُجُ كل يومٍ فتتنزّهُ بين الأشجارِ المُثْمِرةِ والكَرْمَةِ وتتأمّلُ الثِّمارَ التي جَلَبَتْ لها الحظَّ السّعيد.





القاضي الطّمّاع



منذُ زمنٍ بعيدٍ، كان يَعيشُ، في قريةٍ، أخَوانِ، أحَدُهُما فقيرٌ للغاية، والآخَرُ غنيٌّ جدًّا! طلَبَ الفقيرُ، ذاتَ يومٍ، من أخيهِ الغنيِّ، أن يُعيرَهُ حِصانَه. قالَ له: «أخي، عَفْوَكَ أنا بحاجةٍ إلى حِصانِكَ كي أذهبَ إلى الغابةِ وأجمَعَ بعضَ الحَطبِ الجافِّ لأُشعِلَهُ في الموقِدِ أيّامَ البردِ».

وبَعدَ جُهدٍ كبيرٍ وبعدَ أن امْتَعَضَ أخوه من طلبه لأنه لا شكَّ لم يكنْ كريمًا، أجابه قائلاً: «فَلْيَكنْ ما تريدُه» وأضافَ: «لكن... اِحترِسْ، إنهُ حِصاني المفضَّلُ وأنا أحبُّهُ كثيرًا!».

«و... هلْ يمكنُكَ إعارتي أيضًا عَرَبةَ النَقلِ؟» طَلَبَ الفقيرُ، رُغْمَ أن أمَلَه بذلك كان ضئيلاً، لأنّهُ يَعرفُ تمامًا مدَى أنانيّةِ أخيهِ ومدى أطباعِهِ الشَرِسَة.

أجابَهُ أخوهُ مغتاظًا: «أبدًا، لا تَحلُمْ بذلك! ألا يكفيكَ أنّني أعَرْتُكَ الحِصانَ!»

نَعَمْ... لم يكنْ أخوهُ الغنيّ سخيًّا! فَلَمْ يجرؤِ الفقيرُ على الإلحاحِ، فأخَذَ الحصانَ، وبِسبَبِ افتقارِه إلى عَرَبة، علَّقَ مِزلَجةً بذَنبِ الحصانِ لِجرِّ الحَطَب. وصلَ إلى الغابةِ وجمعَ أغصانًا يابِسَةً ووَضَعَها في المِزْلَجة، وأمسَكَ بِرَسَنِ الحِصانِ واتّجَهَ نحوَ المَنْزِلِ سَيْرًا على الأقدامِ. لكن، لِلأسَف، كانتْ أشجارُ الغابةِ كثيفةً، فعَلِقَتِ الأغصانُ اليابسةُ التي قَطَعَها بالأشجارِ المتشابكَةِ. فحاولَ الشّابُّ قَدْرَ الإمكانِ إنقاذَ الموقفِ، إلاّ أنّ الحِصانَ لم يتمهّلْ، فشدّ كثيرًا حتّى فَقَدَ ذَيْلَه.

فكَّرَ الشّابُّ يائسًا مِمّا أصابَه: «ماذا سأفعلُ الآنَ؟ فلن يقبَلَ أخي أبدًا بِحُجَجٍ.» فحينَ شاهدَ الغنيُّ الحِصانَ بطُرّةٍ وَبَرٍ بدلاً من ذَنَبِهِ الطّويلِ الرّائعِ راحَ يصرُخُ وصَوتُهُ يرعُدُ: «ماذا فعلتَ بالحصانِ الذي أعرتُكَ إيّاه؟ كان عليَّ عدَمُ الوُثوقِ بِكَ! أَلَمْ أُحذِّرْكَ! إنّكَ لا تصلُحُ لشيءٍ! أريدُ تعويضًا عن هَذِه المَسْألة، سأُقدّمُ شكوى ضِدَّكَ أمامَ قاضي البَلْدَة!»

«يا لِلْمُصيبة»، فكَّرَ الأخُ الفَقيرُ، «فَمِنَ المعروفِ أن قاضيَ البلدةِ يُعطي الحقَّ لِمَنْ يَرْشوهُ بالمالِ! ماذا سأَفعلُ؟... فأنا لا أملِكُ كوبَكًا واحدًا، ولا أستطيعُ التَعويضَ على أخي... ولا المُثولَ أمامَ القاضي، لأنَه من المؤكّدِ أنّه سيحكُمُ عليّ بالسَّجنِ!... آهِ! يا لَلْمُصيبة!» يبدو أنه فَقَدَ الأملَ، إذ لَمْ يَجِدْ حلاً لقضيّتِه، فضاقَتِ الدُّنيا به وقرَّرَ أن يرمي بنَفْسِهِ عنِ الجِسرِ.



وشاءَ القدرُ أن يمُرَّ، في ذلك الوقتِ، مِزْلاجٌ في النَّهرِ الجَليديّ الذي يجري تحتَ الجِسر، يسافِرُ على مَتْنِه تاجرٌ غنيٌّ مع ابنِه، فَسَقَطَ الأخُ الفقيرُ على التّاجرِ، فرَماهُ أرضًا، فماتَ هذا الأخيرُ على الفَوْر.

رفعَ الإبنُ الشّابُّ الفقيرَ عن والدِهِ، وبعدَ أن نجا بأعجوبَة، أخذَهُ لِيمْثُلَ أمامَ القاضي.

راحَ الشّابُّ يصرُخُ والدّموعُ تنهَمِرُ من عَيْنَيهِ: «سأثأرُ لِوالدي، أيُّها الحقيرُ! ستدفعُ الثَّمنَ غاليًا... يا والدي المِسْكين!...»

لَمْ يتمكَّنِ الأخُ الفقيرُ من الإعتراض، فهو مُنْذَهِلٌ وحائرٌ بأمرِه. اقتادَهُ ذاك الشّابُّ الذي كان يبكي ويتأَوَّهُ، ماسِكًا إياه بقميصِه... فقالَ الفقيرُ في ذاته: «إنّني، حقًّا، لا أَصلُحُ لِشيءٍ، حتّى أنني عاجزٌ عن الإنْتِحارِ دونَ إحداثِ مَصائِبَ!» وفي طَريقِهِما إلى القاضي، خَطَرَتْ ببالِهِ فِكْرَةٌ فانحنى خِلْسَةً والْتَقَطَ حَجَرًا ولفَّهُ بمنديلٍ وَوَضَعَهُ في جيبِه.

وصلا إلى المحكَمَة، وعندما دَخلا، شاهدا الأخَ الغَنيَّ مُنْهَمِكًا يروي قصّةَ حِصانِهِ والذَّيلِ للقاضي. وعندما شاهدَ هذا الأخيرُ أخاه الفقيرَ التفَتَ وقال للقاضي: «هذا هو يا سيِّدي! هذا هو سببُ كلِّ عِلّة؟»

قال القاضي: «هذا أنتَ إذاً؟، هل لديكَ شيءٌ تُضيفُه؟»

قال الفقيرُ بخَجَلٍ: «ماذا عسايَ أن أقولَ، إنّها مسأَلَةٌ غريبةٌ، ولا ذَنْبَ لي فيها». وبينما كان يتكَلَّمُ أخرجَ، بِحيلةٍ ما، المنديلَ من جيبِهِ وبطريقةٍ خفيّةٍ ليراهُ القاضي. وبما أنَّ القاضي اعتادَ على تلكَ الأمورِ، ظنّ أنّه يحتوي على المال، وأنه سَيكونُ ثَمَنَ أتعابِه. فأبدى تفَهُّماً تُجاهَ الفقيرِ ثم قالَ للأخِ الغنيِّ: «لقد فَهِمْتُ أنَّكَ تشكو من أنَّ حصانَكَ فَقَدَ ذَيْلَهُ، صحيحٌ؟... إذًا أَتْرُكِ الحصانَ لأخيكَ ليعتنيَ بهِ إلى أنْ يعودَ ذيلُهُ إليه كما كانَ سابقًا ثُمَّ تَسْترجِعُهُ! هكذا حَكَمَتِ المَحْكَمَةُ.»

قاطعَهُ ابنُ التّاجر: «سيِّدي، اِنتظِرْ، أنا أيضًا لَدَيَّ شكوى ضِدَّ هذا الرَّجُل!» وروى له بالتَّفصيلِ قِصّةَ والدِه وكيفَ سَقَطَ عليهِ الرَّجلُ فقتَلَه، ثم خَتَمَ قِصَّته قائلاً: «أَطْلُبُ منكَ محاكَمَتَهُ يا سيّدي القاضي.»

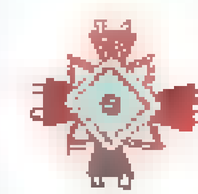
وهذه المرَّةَ أيضًا أبرزَ الشّابُّ الفقيرُ منديلَهُ المنفوخَ للقاضي... وهذه المَرَّةَ أيضًا سَعى القاضي جاهِدًا لإيجادِ حُكمٍ لصالحِه.

قالَ القاضي متوجِّهًا إلى ابنِ التّاجر: «أيّها الشّابُّ السَّيِّءُ الحظّ، تَطلبُ حُكْمًا لقضيّتِك... سَيقِفُ هذا الشّابُّ تحتَ الجسْرِ عينِه وستَقفِزُ أنتَ من على الجِسْر... وتقتُلُهُ تمامًا كما فَعَلَ هو حينَ قَتَلَ والدَكَ المسكينَ! هكذا قُرِّرَ ورُفِعَتِ الجَلْسَةُ.» ثم خَرَجَ القاضي من المَحْكَمَة.

في الخارجِ توجَّهَ الأخُ الفقيرُ إلى أخيه قائلاً: «إذًا... سأمرُّ بكَ فورًا لآخذَ الحصانَ!»



أجابَهُ أخوه: «تريدُ حصاني؟ ماذا تقول؟»
قالَ الفقيرُ: «هكذا قَرَّرَ القاضي وأنا سأنفِّذُ الحكمَ.»
قاطَعَهُ الغنيُّ: «إنسَ أمْرَ القاضي، فإذا تَرَكْتَ الحصانَ لي أُعطيكَ ماعزًا وعَشَرَةَ روبلات، أتوافِقُ؟»
قالَ الفقيرُ: «موافقٌ إذا كنتَ تريدُ ذلكَ... حسنًا، سأمرُّ بك إذًا غدًا صباحًا وآخذُ ما عرضْتَ عليّ». ثم التفتَ إلى ابنِ التّاجرِ وقالَ له: «غدًا سأكونُ عندَ الفجرِ تحتَ الجسرِ، أنْتظرُ سقوطَكَ عليّ!» «آهِ! لا!» صاحَ ابنُ التّاجرِ، أودُّ الانتقامَ منكَ، وإنّما لا أرغبُ بالمخاطرةِ بحياتي من أجلِ ذلكَ الحُكمِ!»
أصرَّ الفقيرُ: «ماذا تقولُ؟ إن قَراراتِ القاضي لا جَدَلَ فيها!» قاطَعَه الشّابُّ: «إنسَ الأَمْرَ... سأصْفَحُ عنكَ!»
صاحَ الفقيرُ: «إنّما أنا لن أنسى، أريدُ تنفيذَ القانونِ بحذافيرِه، وأنا أَسْتَسْلِمُ للعِقابِ الذي قرَّرَهُ القاضي بحقِّي!»
عندئذٍ قالَ له الشّابُّ فاقدًا الأمَلَ: «إسمعْ يا رجُل، سأطرَحُ عليكَ حلاً. فإذا نَسيتَ تلكَ المسألةَ أُهديكَ حصانًا وأربعينَ روبلاً!»
تظاهَرَ الفقيرُ بأنّهُ يُفكِّرُ بالإقْتراحِ وأخيرًا قالَ: «حَسَنًا، سأَقْبَلُ باقتراحِكَ، سأمرُّ بكَ غدًا لآخذَ ما وعدتَني به.»
وهكذا زالَ الكابوسُ عن قلْبِ الفقيرِ... وقَدْ أصبحَ الآنَ غنيًّا. فانطلقَ إلى منزلِهِ مسرورًا. وفي الطريقِ تَقدَّمَ منهُ أحدُ خدّامِ القاضي يَلْهَثُ وقالَ له: «أَرْسَلَني القاضي لآخُذَ مِنْكَ ما... نَعَمْ، ما وعدتَهُ به.»
فأخرَجَ الفقيرُ المنديلَ من جَيْبِه وأَخَذَ الحجرَ وأَعطاهُ لخادمِ القاضي وقالَ له: «خذْ هذا الحجرَ لسيِّدِكَ وقُلْ لَهُ إنَّهُ لَوْ لَمْ يتساهلْ معي لكُنْتُ قذفتُهُ به وقَتَلْتُهُ!»
وعِندَما شاهدَ القاضي ذلكَ الحجرَ، عَلِمَ بنيَّةِ الرّجل، فضحِكَ بمرارةٍ وقالَ: «إلْتقيتُ اليومَ رجلاً حاذِقًا واكتسبتُ شيئًا أثمنَ من النّقودِ... إكْتسبتُ حياتي!.»



الزَّوْجَةُ الكامِلَة

تعيشُ نسْتاسيا الشّابّةُ في كوخٍ صغير، لا أُخوةَ لها ولا أَخَوات. تعملُ طَوالَ النّهارِ لتكسَبَ عيشَها وعيشَ أهلِها المُسنّينَ. إنّها حقًّا بارعةٌ، تجلِسُ أمامَ المِغْزَلِ من الصّباحِ حتى المساءِ دون أن تتوقّفَ، فتغزلُ قُماشًا رائعًا لِتَبيعَهُ لتاجرٍ في المدينة.

«نَسْتاسيا، اِسْتريحي قليلاً يا ابْنتي» تقولُ لها والدتُها مِرارًا وتَكْرارًا، لكنَّ الفَتاةَ لَمْ تكُنْ تُصغي يومًا إلى تلك الكَلِمات. «نَسْتاسيا، أُخْرُجي يا ابنتي مع صديقاتِكِ، ورَفِّهي عن نفسِكِ.» تُواصِلُ والدتُها. فاللَّهوُ لا يهُمُّها، فهي تريدُ فقطْ مُساعدةَ والدَيْها. لا تستريحُ لحظةً واحدةً. لم تكنْ حتّى تأكلُ عِنْدَ الظُّهرِ وذلك كي لا تُضَيِّعَ الوقْت... وعند المساءِ، تشربُ كوبَ حليبٍ وتتناوَلُ قِطْعةَ خُبْزٍ وتخلُدُ إلى النّوم... الأمرُ الذي أقلقَ والدتَها. فاضْطُرَّتْ ذاتَ يومٍ إلى إبعادِها عن المِغْزَلِ بالقوّة.

أَمَرتْها والدتُها: «لا تُقْنِعيني اليومَ، لن تعمَلي، اِسْتريحي وإلاّ ألَمَّ بِكِ المرضُ! ثُمّ... إنّكِ لا تأكُلينَ شيئًا! هيا، تعالَيْ معي!»

فمَسكَتْ والدتُها بيَدِها وخَرَجَتْ بها من المنزِلِ. وهَتَفتْ: «أُنظري، إنّه يومٌ جميل! إجلِسي هنا، وتمتّعي، ولو لِمَرّةٍ، بهذا الهواءِ النّقيّ!» ثم تركَتْها وعادَتْ بعدَ بِضْعِ دقائقَ معَ كعكةٍ طازَجةٍ وقدّمتْها لابْنتِها قائلةً: «خذي، كُليها، إنها لَذيذة!»

وفي القريةِ عينِها، كانت تعيشُ فتاةٌ تُدعى تاتيانا، تُوفِّيت والدتُها. وكانت تلك الفتاةُ تُمضي طَوالَ الوقتِ مَعَ أخيها ڤاسيلي: تُحضّرُ له الطّعامَ، تعتني بهِ، تغسِلُهُ وتلعبُ مَعَه... دون أن تفكِّرَ لحظةً بنفسِها أو باللّهوِ مع صديقاتِها، أو بالتّحدُّثِ إليهنّ...

يقدِّرُ الأبُ ابنتَهُ لكنّه كان قَلِقًا عليها وأرادَها في ذلك اليومِ أن تخرُجَ فقالَ لها: «تاتيانا لا يُمْكنُ أن تُضحّي إلى هذا الحدّ. فأنتِ شابّةٌ، ويجب أن تفكِّري قليلاً بالمَرَحِ، من حينٍ إلى آخر... أنظري إنّه يومٌ

جميلٌ، فما رأيُكِ بدَعْوَةِ صَديقاتِكِ وتناوُلِ الفُطورِ مَعَهُنَّ في المرْجِ الأخضرِ المقابل.»
أجابَتِ الفتاةُ، «لكنْ يا أبي، من يَرْعى ڤاسيلي؟ فأنتَ أشغالُكَ كثيرةٌ!»
أجابَ والدُها: «لا تَقْلقي يا صَغيرتي، سآخذُ يومَ عُطْلةٍ، وأذهبُ إلى السُّوقِ وأصْطحِبُ ڤاسيلي معي. سيمرَحُ كثيرًا، سَتَرَين!» وهكذا ركِبَ الأبُ العَرَبَةَ وڤاسيلي بالقُرْبِ منه، وتوجَّها إلى السُّوق. وبَقِيَتْ تاتيانا وحدَها، فحضَّرتْ قالَبًا شَهيًّا من الحَلْوى ثمّ ذهبَتْ تدعو صديقاتِها.
«صونيا! إيلينا! كاتيوشا!» نادَتْهُنَّ الفتاة: «حضَّرْتُ قالَبَ حلوى، وسنتناولُ الفُطورَ معًا!»
بالقرْبِ من ذلك المرْجِ كانتْ تعيشُ أنيكا، وهي فتاةٌ كسولةٌ خاملةٌ لا تفكِّرُ سِوى بذاتِها، ولا تفعلُ شيئًا، وتُمضي النّهارَ مُمَدّدةً على السَّرير. في حين أن والِدتَها امرأةٌ عجوزٌ مُتْعَبَةٌ لا تعرفُ الرّاحةَ أبدًا: تكنِسُ وتمسَحُ الأرضَ وتغسِلُ وتطهو... يَئِسَ الأبُ من تصرّفاتِ ابنته: فأجبرَها ذلكَ اليومَ على النُّهوضِ من الفِراش. فقال لها: «كفاكِ غُنجًا! أمُّكِ وأنا نكْدَحُ، والتَّعَبُ يُنْهِكُ قُوانا، وأنتِ لا تُساعِدينَنا، حتى أنّكِ لا تأتينَ بحركةٍ مُفيدة. إنْتهتْ هذهِ المَرْحلة! أَعْرِفُ أنّك عاجزةٌ عن ... لكنْ يجبُ أن تَقومي بعملٍ ما! خُذي هذه الجواربَ وخُذي إبرةً وخيطًا، واخْرُجي واجْلِسي أمامَ البابِ ورقّعيها... بسُرعةٍ، هيّا!» حاوَلَتْ أنيكا الاعتراض، لكنّ أباها كان غاضبًا جدًّا.
قالتِ الفتاةُ حانقَةً: «هذه المرّةَ، سأُرضيه، لكنّه إذا كان يعتَقِدُ أنّه سَيَجْعلُني أعملُ كوالدتي أيّ كخادمةٍ... يكونُ مُخْطِئًا!» فأخذَتْ سَلَّةَ الجواربِ بتأوُّهٍ وخرجَتْ لتجلِسَ أمامَ المنزلِ على الدَّرج.
وكان والدُها يراقبُها من بعيدٍ، من البُستان، وبين الفَيْنَةِ والفَيْنةِ كان يصرُخُ،
«إعمَلي لا تتلَهَّى، أريدُ الجوارِبَ هذه اللّيلةَ جاهزةً مرقَّعةً كُلَّها!»
إميلُ ابنُ رجلٍ غنيٍّ يملِكُ مساحاتٍ شاسعةً من الأراضي، ويملِكُ مزرعةً كبيرةً بالقُربِ من البلْدة. كان إميلُ يريدُ الزّواجَ من صَبيّةٍ كامِلَةٍ.
فقال لأبيه: «الصّبايا كلُّهُنَّ جميلاتٌ وظريفاتٌ، ولكن كيفَ أستطيعُ اختيارَ الفَتاةِ المناسبَةِ لي، يا تُرى؟!» ثم أضافَ: «العملُ كثيرٌ في المزرعة، والتي سَتعيشُ معي يجبُ علَيها ألاَّ تخشى التَّعبَ: سأبحثُ عن فتاةٍ تُثْبِتُ جدارَتَها بالعَمَلِ!» فخرجَ في ذلك اليومِ إلى القريةِ ليتجوّلَ بين منازِلها، علَّهُ يتعرَّفُ إلى إحدى الفَتَيات. سار وسار، فمرّ



أمامَ كوخٍ: هناك أمامَ منزلِ نَسْتاسيا حيثُ كانتْ تأكلُ الكَعْكَةَ وتتأمّلُ غيومَ السَّماءِ وتتنشّقُ هواءَ الرّبيع، وذلكَ بعدَ أيّامٍ وأيّامٍ من التّعب. قالَ إميلُ: «إنها فتاةٌ جميلةٌ، لكنّها، من المؤكّدِ كسولةٌ... وشَرِهةٌ أيضًا، تكْفي مشاهدَتها وهي تأكلُ هذهِ الكَعْكة!... إنها، دون شكّ، ليستِ الفتاةَ التي تناسِبُني!» وتابعَ سيرَهُ دونَ توقّفٍ.

وبعد قليل، لاحظَ على مَرْجٍ أخضرَ مجموعةَ فتياتٍ مسروراتٍ: تاتيانا ورفيقاتِها، يضحَكْنَ ويُثرثِرْنَ ويأكُلْنَ قالَبَ الحلْوى الذي حضّرَتْهُ تاتيانا. قال إميل: «هؤلاء أيضًا فتياتٌ جميلاتٌ، ولكنِ انْظروا كيف يضحَكْنَ، ويُثرثِرْنَ فهنّ لا يناسِبْنَني، إنهنّ نَمّامات، وحُكْمًا... كسولات». ومرّةً جديدةً أدارَ وَجْهَهُ وتابعَ سيرَهُ في أزقّةِ القرية.

فمرَّ أمامَ منزلِ أنيكا. فكانت جِدّيّةً، منهَمِكةً بإصلاحِ الجوارِب، تُفَكِّر: «سيدفعُ أهلي الثَّمنَ غاليًا!» فهي تسعى جاهدةً لإنهاءِ ذلك العملِ المُمِلِّ. ويا لَلأسف، إنها مرتَبِكةٌ لا تدْري كيفَ ستُنْهي عملَها. شاهَدَها إميلُ منكبّةً على العمل، فامتَلأَ قلبُه فَرَحًا! فقال مبتهجًا، «ها هي الفَتاةُ التي أبْحَثُ عنها، إنّها رصينةٌ... تحبُّ العملَ.» فذهبَ إلى والِدها وطلبَ يدَها للزَّواج.

سُرَّ الأبُ كثيرًا للخَبَرِ لأنّه سيتحرّرُ من تلكَ الفتاةِ الأنانيّةِ الكسولةِ؛ وحين عَلِمتْ أنيكا بثروةِ الشّابِّ، قَبِلَتْ بِفَرحٍ، إذْ تخيّلَتِ الخُدّامَ يُحيطونَها ويَستجيبونَ لِرغباتِها.

ويا لَلأَسفِ الشّديدِ، فَسُرْعانَ ما خابَ ظَنُّ إميل، إذِ اكتَشَفَ أنّه تزوَّجَ أكسَلَ فتاةٍ في البلدَة، وهكذا تَعَلَّمَ ألاَّ يحكُمَ علَى النّاسِ من الظّاهِرِ... ففي هذهِ الحالِ غالبًا ما يُخطِئُ المرءُ.





الضِّفْدَعَةُ المسْحورَة





كانَ في قديمِ الزّمانِ، مَلِكٌ عِنْدهُ ثلاثةُ أولادٍ، وقدْ بلَغوا كلُّهم سِنَّ الزّواجِ. قالَ لهُمُ القيصرُ ذاتَ يومٍ: «يا أبنائي، فَلْيَرمِ كلٌّ مِنْكُم سَهمًا بقوسِه باتّجاهٍ ما. وهناكَ حيثُ يسقُطُ السَّهمُ يَجِدُ راميهِ زوجةً له.»

أطلقَ الإبنُ الأكبرُ سَهمَهُ من على يمينِه فانتهى السّهمُ في حديقةِ دوقٍ، حيثُ كانتِ ابنتُهُ تتحدّثُ مع صديقاتِها. ثمّ أطلقَ الإبنُ الأوسَطُ سَهمَهُ من على يسارِه، فسقطَ في فِناءٍ، حيثُ كانتِ ابنةُ مالِكِ أراضٍ كثيرةٍ تطرِّزُ. أمّا الإبنُ الأصغرُ، الأميرُ إيڤان، فأطلقَ سَهمَهُ إلى الأمامِ. وعندما ذَهبَ ليستعيدَه، كان قَدِ اختفى! فراحَ يبحثُ عنْهُ في كُلِّ مكانٍ، وراحَ يجولُ في كلِّ زاويةٍ حتّى تعِبَ وخارَتْ قُواهُ. وبعدَ بِضْعَةِ أيّامٍ من البَحْثِ المتُواصِلِ الذي باءَ بالفَشَلِ إسْتسلمَ للأمرِ، فجلسَ على ضِفّةِ مُستَنْقعٍ. وفجأةً ظهرتْ أمامَهُ ضِفدعةٌ ضخمةٌ خضراءُ تحمِلُ السَّهمَ بفمِها. إنّهُ... سَهمُ الأميرِ!

قالتِ الضِّفدَعةُ واضعةً السَّهمَ أمامَ قَدَميهِ: «أيُّها الأميرُ إيڤان، هذا سهمُكَ... شاءَ القَدَرُ أن تتزوَّجَني!»

«ماذا؟!... ضِفدَعةٌ!» صرخَ الأميرُ مرتَبِكًا، «لا أستطيعُ الزَّواجَ من ضِفْدَعةٍ، فأنا أميرٌ!»

أَصرَّتِ الضِّفْدَعةُ «القَدَرُ أمرَ بذلك يا إيڤان، يجبُ أن تطيعَه وإلاّ عاقَبَكَ، فتبقى سَجينَ هذا المُسْتَنقَعِ إلى الأبدِ.»

سلّمَ المِسْكينُ أمرَهُ لِلّهِ، وأدركَ أنّه لا يَستطيعُ فِعلَ شيءٍ حَيالَ ذلك، فأخَذَ الضِّفْدَعةَ وعادَ حزينًا إلى القصرِ.

أقيمَتِ الاحتفالاتُ لزِفافِ الأُخوةِ الثّلاثة: الغِناءُ، الرّقصُ... الفَرحةُ تغمرُ قُلوبَ الجميعِ! كلُّهُم... ما عدا إيڤانَ المسكينَ الذي كانَ ينظرُ إلى عروسِهِ الخضراءَ، جالسةً بِقُرْبِه، ويتحسّرُ: «لِمَ قَسا القدرُ عليَّ؟» ثم راحَ يفكِّرُ: «لا شكَّ أنّها ضِفْدَعةٌ جميلةٌ، لا يُمْكِنُني نكرانُ ذلك... كما وأنّها مَرِحةٌ وذَكيّةٌ ومُهَذّبةٌ... إضافةً إلى أنّها تَتَمتَّعُ بخصائصَ خارقةٍ... لكنّها ضِفْدَعةٌ!»










مضى قليلٌ من الوقتِ، وبدأ إيڤانُ يكتشفُ أنّه، في العمقِ، يتوافقُ معها، وأنّهما ينسجمانِ معًا: فهي وَدودةٌ، لامعةٌ، تناقِشُ في شتّى الموضوعاتِ. باختصار، لا يَضجَرُ إطْلاقًا برِفْقَتِها.

أرادَ الملكُ ذاتَ يومٍ، امتحانَ قُدُراتِ كَنّاتِهِ، فدعا الأُمراءَ الثلاثةَ وقالَ لَهُم: «يا أبنائي، أرغبُ في هديَّةٍ من زوجاتِكم، ثم أعطاهُم قِطعَ قُماشٍ، وأضافَ: أريدُ أن تَخيطَ لي كلُّ واحدةٍ مِنْهُنَّ قميصًا!».

عَلِمَتِ الكَنّاتُ بطلبِ الملكِ، فَدَعَتْ زوجةُ الإبْنِ الأكبرِ وزوجةُ الابنِ الأوسَطِ الحاضناتِ والسيّداتِ في القصرِ لمساعدتِهما، وانكَبَبْنَ على العملِ دون توقّفٍ: فقُمْنَ بالمَقاسِ والتّفصيلِ والتّسريحِ... ثُمّ المقاسِ والتّفصيلِ والحياكةِ والتّطريزِ...

أما أيڤانُ فقد عادَ إلى حُجرتِهِ حزينًا، وعندما شاهدَتْهُ الضّفْدعةُ مُحبَطًا، سألَتْهُ: «ماذا يجري يا عزيزي؟» فرَوى لها إيڤانُ عن لِقائِهِ بوالِده. فعزَّتْهُ الضّفدعةُ قائلةً: «لا تَقلَقْ يا حبيبي، غدًا صباحًا سيحصُلُ والدُكَ على ما يرغبُ!» ففي تلكَ اللّيلةِ، وبينما كان إيڤانُ نائمًا، أخذتِ الضّفدَعةُ القُماشَ، وقصّتْ منه قِطَعًا صغيرةً ورَمَتْها من النّافذَةِ هامسةً: «أيّتُها الرّياحُ النّبيلةُ واللّطيفةُ، أعِدّي لي قميصًا للمَلكِ!». مضتْ بضعُ لحظاتٍ ودخلَ من النّافذةِ قميصٌ تحمِلُهُ الرّياحُ رائعُ الجمالِ!

في الصّباحِ، قال لها إيڤانُ: «شُكرًا يا زوجتي العزيزةَ، أنتِ حقًّا بارعةٌ!» وأخذَ القميصَ مسرورًا وذهبَ ليُقَدِّمَهُ لأبيه.

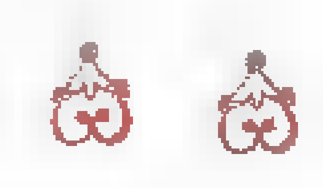
نادى المَلِكُ الابنَ الأكبرَ ليرى ما جهّزَتْ زوجتُه: قالَ بنبرةٍ متعاليةٍ: «هذا ليسَ قميصًا يليقُ بسُلطان، إنه قميصُ راعٍ!» ورَماهُ وراء ظهرِه ثم أرادَ رُؤيةَ ما فعلتْ زوجةُ الابنِ الثّاني: «إنّ دَرزاتِهِ مُعْوَجّةٌ... حتى الخُدّامُ لا يرتَدونَه!» ورَمى به أيضًا ثم حانَ دورُ إيڤان. هتفَ القيصرُ: «هذا القميصُ تُحفةٌ، سأرتديهِ فَقَطْ في أيّامِ الأعيادِ والاحْتفالاتِ!»

عادَ الشّبابُ إلى زوجاتِهِم: إيڤانُ في سابعِ سماءٍ، أما أخواه











فحزينانِ يائسان. «أرأيتَ»، قال الأخُ الأكبرُ للأوسطِ: «لقد أخطأنا حين هزئْنا بزوجةِ إيڤان... ولكنّ الضِّفدعةَ لا تستطيعُ إطلاقًا خياطةَ قميص! لا بدّ أن تكونَ ساحِرةً ما!...»

مضتْ بضعةُ أيام، ودعا الملكُ أولادَه مُجَدَّدًا واستهلّ حديثَه: «لا شكّ أن زوجاتِكم تعرِفْنَ التَّطريزَ، لِذلكَ سأُعطيكُم لكُلِّ زوجةٍ قِطعةَ قُماشٍ حريريّةٍ مع بَعْضِ الخيوطِ الذّهبيّةِ والفِضّيّةِ كي يُطرِّزْنَ لي سَجّادةً جميلة. وكالمرّةِ السّابقةِ، أرسلتْ زوجةُ الأوّلِ وزوجةُ الثاني بطلبِ الحاضناتِ وسيِّداتِ القصرِ لمساعدتِهنّ. وعاد إيڤانُ ثانيةً إلى زوجتِه قَلِقًا.

سألَتْهُ الضِّفْدَعةُ وهي تقفِزُ من حولِه: «ما بالُكَ يا زوجي الحَبيب؟» فأجابَها مُحْرَجًا: «هذه المرّةَ، يريدُ أبي أن تطرِّزي له سَجّادةً، فأعطاني قُماشًا حَريريًّا مع بَعْضِ الخيوطِ الذَّهبيّةِ والفِضّيّةِ...»

أجابَتِ الضِّفْدَعةُ مطَمْئِنَةً إيّاه: «لا تقلقْ يا عزيزي! سيحصُلُ أبوكَ على السَّجّادةِ التي يَرغبُ.»

في اللّيلَةِ عينِها، قصّتِ الضِّفْدَعةُ القُماشَ إلى قِطعٍ صَغيرةٍ وَرَمتْها من النّافِذَةِ مع الخُيوطِ هامسةً: «أيتُها الرِّياحُ النّبيلةُ واللّطيفةُ جَهّزي لي سَجّادَةً للمَلكِ.» ومرّةً ثانيةً وبأسْرعِ من البرقِ، دَخلَ نسيمٌ ناعمٌ من النّافذةِ حاملاً سَجّادةً رائعةً مطرَّزةً أجملَ تطريز!

وهذه المرّةَ أيضًا، كان حُكمُ الملكِ صارِمًا. فقالَ عندما شاهدَ أعمالَ زوجةِ الإبنِ الأوّلِ وزوجةِ الإبنِ الثّاني: «هذه السَّجّادات، تصلُحُ فقط كأغطيةٍ للأحصنةِ! أما هذه، أضافَ مشيرًا إلى تلك التي يحمِلُها إيڤان، فإنّها رائعةٌ جدًّا، تطريزُها مميّزٌ ورفيعٌ... سأستعمِلُها لأُغطّيَ بها طاولةَ قاعةِ الجُلوسِ في الأعيادِ!»

عندما عَلِمتِ الأميرتانِ بمَهارةِ الكَنّةِ الثّالثةِ، غَضِبتا غَضبًا شديدًا، وقالتْ إحداهُما للأخرى: «لكِنْ كيفَ يستطيعُ حَيوانٌ بغيضٌ، كالضِّفْدَعةِ التي تقفِزُ من مكانٍ إلى آخَرَ، أن يصنعَ أشياءَ كَهذِه؟»

«نَعَمْ»، ردّدَتِ الثّانيةُ، «وأجملُ من التي صنعَتْها يدانا الناعمتانِ!»

مَضَتْ بِضْعةُ أيّام، ودعا الملكُ أولادَهُ من جديد: «أريدُ من نسائِكُم أن يجهِّزْنَ خُبزًا لي.» طلبَ منهُمُ المَلِكُ ذلك لأنّه يريدُ اكتشافَ مَنِ التي تُجيدُ الطَّهوَ بينَهُنّ.

عندئذٍ قرّرتِ الأميرتانِ إرسالَ خادمةٍ تتجسَّسُ على الضِّفدَعَةِ. «هكذا، من جرّاءِ التجسُّسِ نستطيعُ اكتشافَ سِرِّها!» قالتِ الأميرةُ الأولى.

فمزجَتِ الضِّفْدَعةُ قليلاً من الطَّحينِ بالماءِ وصنعتِ العَجينَ ثمّ قسّمتْهُ. «أيّها الفرنُ النّبيلُ واللّطيفُ»،





قالتْ واضِعةً العجينَ في فرنٍ باردٍ «جهِّزْ خُبْزًا للمَلكِ!». مضتْ بِضْعُ ثوانٍ، ثم أخرجَتِ الضِّفْدَعةُ من الفُرنِ... خُبزًا ذَهَبيًّا تفوحُ منه رائحةٌ ذكيّةٌ.

أما الخادمةُ التي اختبأَتْ خلفَ السِّتارِ، فقدْ راقبَتْ كلَّ تحرّكاتِ الضِّفدَعةِ، فأسْرَعَتْ إلى الأميرَتينِ ورَوَتْ لهما كلَّ ما شاهدَتْ. فأسرعتا في تقليدِ الضِّفْدَعةِ في كلِّ حركةٍ: فَمَزَجَتا الطَّحينَ بالماء، وجهّزَتا العجينَ، ووَضعتاهُ في فُرْنٍ باردٍ: ثم رَدّدَتا الكَلِماتِ التي قالَتْها الضِّفْدَعةُ... ثم أخْرجتا العجينَ من الفرْنِ بعد بِضعِ ثوانٍ، فإذا هو تمامًا كما أدْخَلَتاه!

«والآنَ، ما العملُ؟» تذمّرتِ الأولى.

«تلكَ الماكِرَةُ خَدَعتْنا» شكَّتِ الثّانية.

وللحالِ راحتا تجهِّزانِ خُبْزًا على الطَّريقةِ التَّقليديّةِ، وبِسَبَبِ التَّسرُّعِ والاضْطرابِ الذي انتابَهُما... نسيَتا بعضَ المكوِّناتِ، فخبزتا العجينَ وحَصَلتا على قِطعتينِ من الخُبْزِ المحروقِ تَزِنا ثِقْلَ الحَجر!

صاحَ الملكُ عندما شاهدَ قِطْعَتي الخُبْزِ «ما هذا؟! حتى كِلابي لا تأكلُ خبزًا كهذا!»

ثمّ أخذَ الخُبزَ العطِرَ والطَّيِّبَ من إيڤانَ وقال: «أما هذا... نَعَمْ، فإنَّهُ خُبزٌ مُمَيّزٌ ولذيذٌ... إنّه خُبزٌ يصلُحُ تقديمُهُ في الحَفَلاتِ!»

بالطَّبعِ، غضبتِ الأميرتانِ وتبدّلَ لونُ وجههِما ليُصبحَ أخضرَ كالضِّفدعَةِ التي يكرهانِها.



مضى قليلٌ من الزّمنِ، ودعا الملكُ أولادَهُ للمرّةِ الرّابعةِ على التّوالي، وقال لهم: «بعدَ عِدّةِ أيّامٍ سأنظِّمُ عشاءً راقصًا، وستكونونَ أنتم وزوجاتُكُم ضُيوفَ الشَّرفِ.»

سُرَّ الأوّلُ والثّاني كثيرًا للخَبَر. فقالَ الأخُ الأكبرُ هازئًا: «أودُّ أن أرى إيڤانَ يرقُصُ... مع ضِفْدَعةٍ!»

«أجل»، أضاف الثّاني، «فبدلَ أن يخطُوا خُطُواتٍ سيَقْفِزانِ هنا وهناك!» وراحا يُقَهْقِهانِ... فشَعَرَ إيڤانُ بأنّه ذليلٌ... فهو يُحبُّ زوجتَه كثيرًا، لكنّهُ يعلمُ جيّدًا أنّ الجميعَ سَيَهْزأون بهما ليلةَ الاحتفالِ.





«ما بِكَ مُكتئبٌ، يا إيڤانُ؟!» سألتْهُ زوجتُهُ عندما رأتْهُ حزينًا، فأجابَها الشّابُّ: «دعانا والدي إلى حفلِ عشاءٍ راقصٍ. يا زوجتي الحبيبة، لا تغتاظي... سيسْخرُ الجميعُ منكِ ومنّي، وأنا أتألّمُ لذلك!»

حاولتْ أن تُسَرِّيَ عنه بقولِها: «حسنًا، لا تقلقْ يا حبيبي! سترى أنَّ كلَّ شيءٍ سيكونُ على ما يُرام!»

لم يقتنعْ إيڤانُ اقْتناعًا كافيًا بأنَّ زوجَتَهُ ستجدُ حلاً هذه المرّةَ. وعندما أتى اليومُ المنتظَرُ بدا مُتوتّرًا لِلْغايةِ.

قالتْ له زوجتُه: «هيّا، إذهبْ إلى الحَفْلِ، وحينَ أنتهي من تجهيزِ نفسي... هيّا، لا تَخَفْ يا حبيبي، سأوافيكَ حالاً! هيّا».

وصلَ إيڤانُ بين المَدعُوّينَ وأخذَ مكانًا قربَ الطّاولةِ المليئةِ بالطّعَام. سألتْهُ زوجةُ أخيهِ الأكْبرِ بنَبْرةٍ إسْتفْزازيّةٍ: «ألَنْ تأتيَ زوجتُك العزيزةُ!؟» وأضافتْ زوجةُ الثّاني ضاحكةً: «يا إلهي... كَمْ أنا متشوّقةٌ إلى أن أرى فُستانَها في هذهِ السّهرةِ!»

فأجابَ إيڤانُ مُحرَجًا: «سَتَصِلُ... ستصلُ بعدَ قليلٍ». وقد لاحظَ بحَسْرةٍ مدى أناقةِ تلكَ الثّرثارتين.

وفجأةً، فُتِحَ بابُ القاعةِ ودخلَتْ شابّةٌ فاتنةُ الجمالِ، تتقدّمُ بأناقةٍ، فلَفَتَتْ أنظارَ جميعِ المدعوِّين... حتى أنها حَبَسَتْ أنفاسَ بعضِهِم لِلَحظاتٍ. سُحِرَ الجميعُ بها. اِقْتربتِ المرأةُ من المَلِكِ وانحنتْ أمامَه، وقالتْ: «أيّها الملكُ الجليل، أنا زوجَةُ ابنِكَ إيڤان!». دُهِشَ الجميعُ وغصَّتِ الأميرتانِ بما كانتا تشربانِ عندَ سَماعِهِما قولَ الشّابّة.

«زوجةُ إيڤان؟ كيف يُعقلُ هذا؟ أيُّ سِحرٍ هذا؟ ألَمْ أقلْ إنّها ساحرةٌ!» تعالَتْ تلك الأصواتُ، في حين أن إيڤانَ كان فخورًا، ومسرورًا جدًّا، إذْ لم يستطِعْ غضَّ النَّظرِ ولو لِلَحظةٍ عن تلكَ المرأةِ الفاتنةِ... زوجتِهِ!

رحّبَ الملكُ بالمرأةِ وأجلسَها بجانبِه، ثم بدأَ العشاءُ. فأكلتِ السَّيّدةُ الرّائعةُ باعتدال. ثم، بعد حينٍ... سكَبَتْ كوبَ ماءٍ في صدرِها وأدخلتْ تحتَ كُمَّيْ قميصِها عظامَ البطّةِ المطهوّةِ التي قُدِّمتْ لها. وأرادتِ الأميرتانِ الحسودتانِ تقليدَها، ففكّرتا: «إنّه طبعًا سحرٌ... ويصْلحُ طبعًا لشيءٍ!»

إنتهى العشاءُ وبدأ الرقصُ. فسألَ الملكُ كَنّتَهُ الجميلةَ: «إسمحي لي برَقصةٍ أيّتُها المخلوقةُ السّماويّة.» وراحا يرقُصانِ في وسَطِ القاعةِ.

نظرَ إليها الجميعُ مذهولينَ ومسحورينَ بها، قائلين: «يا لَلأناقةِ المُمَيَّزة، إنّها حقًّا إمرأةٌ جذّابةٌ!» بينَ رقصةٍ وأخرى... لَمَسَتْ صدرَها، وحرّكتْ ذراعيها، فظهرتْ في وسَطِ القاعةِ وبسحْرٍ ساحرٍ... بُحيرةٌ زرقاءُ... تسبحُ فيها إوزّاتٌ ناصعةُ البَياض!





«أوهِ !!» صاحَ الجميعُ من شِدَّةِ الدَّهشةِ والرّوعةِ. فتوقّفَ العازفونَ عن العزفِ وتوقّفتِ المرأةُ عنِ الرّقصِ... فاختفتْ بذلِكَ الرُّؤيةُ السّحريّة.

أرادَتِ الأميرتانِ تقليدَ الشّابّةِ، فما إنّ عادتِ الموسيقى حتى أمسكَتْ كلُّ واحدةٍ منهُما زوجَها وباشَرَتا الرّقصَ، ثم استدارَتا وحرَّكَتا ذراعَيْهِما كما فعلتْ زوجةُ إيڤان، لكنَّ العِظامَ المخبّأةَ تحتَ أكمامِ القُمصانِ... سقطتْ هنا وهناك بينَ الجُموعِ، وكان من نصيبِ الملكِ أن تعثّرَ بها.

صرخَ الملكُ: «كفى، توقّفوا عن الرّقصِ!» ثم توجّهَ إلى إيڤانَ وتابعَ قائلاً: «يا ابني الحبيبَ، لقد أصبحتُ رجلاً عجوزًا وباتَ صعبًا عليَّ حكمُ المملكةِ، أريدُك أن تحُلَّ مكاني. فأنتَ شجاعٌ وطيّبُ القلبِ... وأما زوجتُكَ فقدْ برهنَتْ أنّها ماهرةٌ في كلِّ شيءٍ وستكونُ حتمًا ملِكةً صالحةً...»

قالتِ المرأةُ: «أيُّها الملكُ... إيڤانُ، يجبُ أن أكشِفَ لكُما عن ذاتي، أنا ساحرةٌ ووالدي ملكُ المحيطِ. كنتُ أعيشُ مسروةً معَه إلى أن أرادَ يومًا غولُ الزّواجَ بي فرفضتُ. ولكي ينتقِمَ مني حوّلَني ذلك اللّعينُ إلى ضِفْدَعةٍ ورماني في المستنقعِ، قائلاً إنّني لا أستعيدُ شكليَ الأصليَّ إلاّ إذا تزوّجني أحدُ أبناءِ الملكِ وإذا لم يخجلْ بالرّقصِ معي... وكما ترَوْنَ فقد انكسَر السِّحرُ!»

عانقَ إيڤانُ زوجتَهُ متأثّرًا لشدّةِ فرحِه. وفي اليومِ التّالي، تُوِّجَ إيڤانُ ملِكًا، وعاشَ مع زَوْجتِهِ مسرورًا سعيدًا، وحَكَمَ مملكَتَهُ بالحِكمَةِ والاستقامةِ.





الفهرس

الخادِمُ الحاذِق ٧

النَّجمُ المضيءُ والشَّيْطان ١١

السَّماعِنَةُ السَّبْعَةُ ١٤

صَيدُ السَّمَكِ في الغابَة ٢٠

بابا ياغا ٢٥

بازيليا والمَلِكُ الأبيض ٣٠

الثِّمارُ الخارِقَة ٣٥

القاضي الطَّمّاع ٤٠

الزَّوجَةُ الكامِلَة ٤٣

الضِّفْدَعَةُ المسْحورَة ٤٦






أجمل حكايات روسيا

أجملُ حِكاياتِ المشارِقِ والمغارِبِ في ستّةِ مجلّداتٍ قَيِّمةٍ ونَفيسَة، تَتَجلّى فيها الصُّوَرُ والرُّسومُ بِمُستوًى رفيعٍ، كما أنّها تَتَمَيَّزُ بأُسلوبٍ مُرْهَفٍ وأَنيقٍ تَصِفُ بِمُنْتَهى الإتْقانِ، نُصوصَ حِكاياتِ المَجموعةِ الرّائعة.



في هذِهِ المجموعة

أجملُ حِكاياتِ الزَّمانِ الغابِرِ

أجملُ حِكاياتِ أوروبّا

أجملُ حِكاياتِ الشَّرقِ

أجملُ حِكاياتِ روسيا

أجملُ حِكاياتِ الفرسِ والعربِ والهنودِ

أجملُ حِكاياتِ العالمِ

ISBN 9953-16-094-5

